المجلــة الأردنيــة للفنــون، مجلد 11، عدد 2، 2018،177- 204

الأغنية الشعبية بين الانفعال والتعبير الذاتي

علاء معين ناصر، قسم الموسيقا، كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2017/12/4 تاريخ القبول2018/3/29

The Popular Song Between Emotion and Self-Expression

Ala Muin Naser, Department Of Fine Arts, College of Music, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أساليب ومفهوم الانفعال والتعبير الذاتي الموسيقي من خلال إلقاء الضوء على التراث الغنائي والأشكال الغنائية الشعبية في المجتمع الأردنّي، إن الإنسان لديه القدرة على تصور الأحداث الإنسانية التي يتأثر بها في بيئته ومجتمعه المحيط به من مناسبات وأحداث مجتمعية يتم إدراكها من هذا الواقع، كما وأن لديه القدرة على تنمية وتطوير الصور الخيالية من البيئة التي يعيش فيها، ويبرز حالته الوجدانية الانفعالية عندما يبدأ بالكتابة، ويمتلك من الطاقة البدنية والنفسية والاجتماعية والانفعالية القدرة على الإستمرار في العمل فيسهم في تطوير عملية الإبداع الفني، ولأهمية مفهوم الانفعال والتعبير الذاتي الموسيقي في الواقع والحياة الإنسانية في المجتمع الأردني، جاءت هذه الدراسة لتوضّح أهمية الانفعال و التعبير الذاتي الموسيقي الذي له الأثر الكبير في رسم معالم الأغنية التراثية، فيصبح الفن الأداة أو الوسيلة والرسالة التي يريد الفنان إيصالها للمجتمع الذي ينتمي إليه، يشاهد في الفن والموسيقى الشعبية أداة للتعبير الذاتي الفني.

يتبع البحث المنهج الوصفي من خلال الإطار النظري الذي يتناول دراسة ومفهوم الإنفعال والتعبير الذاتي إضافة إلى وجود العديد من النماذج الموسيقية الشعبية، و قد أظهرت النتائج الإجابة عن أسئلة البحث، حيث تم توضيح أهمية الإنفعال والتعبير الذاتي في تكوين الأغنية الشعبية، ويوصي الباحث في ضوء النتائج التي توصل إليها إجراء الدراسات والأبحاث العلمية الموسيقية التي تتناول العلاقة الموسيقية والنفسية خاصة فيما يتعلق بالانفعالات والتعبير الذاتي الفني،إضافة إلى مسح و جمع وتوثيق وتصنيف الأغاني الشعبية في المجتمع الأردني.

الكلمات المفتاحية: تعبير ذاتي، الانفعال، أغنية شعبية، الإبداع والابتكار.

Abstract

This study aims to uncover the methods and concept of emotion and self-expression music by highlighting the lyrical heritage and popular lyrical forms in Jordanian society. The human being has the capacity to conceive of the events that affect him/ her, both in their environment and in the surrounding society. Being aware of this reality, and that he has the ability to develop the imaginative images of the environment in which he lives, he/ she highlights his emotional state of consciousness and utilize his/ her physical, psychological, social and emotional energyin his/ her writing.

The ability to continue to work contributes to the development of the artistic creation process, and because of the significance of the concept of emotion and self-expression music for life in Jordanian society, this study came to illustrate the importance of emotion and musical self-expression, which has a significant impact on the drawing of Monuments of the Heritage Song (Bedouin and Rural), in which art becomes the tool or the means and the message that the artist wants to deliver to the society he belongs to.

The research follows the analytical descriptive approach through the theoretical framework. It discusses concept of emotion and self-expression and examines many musical models. The results showed answers to the research questions about the importance of emotion and self-expression in the composition of the folk song. In the light of his findings, the researcher recommends conducting scientific studies and research on musical and psychological relations especially with regard to emotions and self-expression. Such studieo would involve surveying, collecting, documenting and classifying popular songs in Jordanian society.

Keywords: Self expression, Emotion, Folk song, Creativity and Innovation

المقدمة:

تطورت الفنون المتنوعة عبر العصور والحضارات، وإن هذا التطور و التغيير والتحول في كل مرحلة زمنية يناسب ويلائم تلك الحقبة أو المرحلة، ويجيب على سؤال العصر المحدد بكل عنصر ومكوناته ومواصفاته التي سار وتطور فيها وكيفية توظيفها واستخدامها في العمليات الإبداعية بمختلف أنواعها. يحمل الفن معنيين؛ الأول معنى عام يجعل من الفن مجموعة من العمليات الشعورية الفعّالة، ويؤثر عن طريقها على الإنسان وعلى بيئته الطبيعية لكي يشكلها ويصوغها ويكيفها، و المعنى الثاني أن الفن مجرد استجابة لحاجة المتعة أو لذة الحواس والخيال، فالفن بمعناه العام هو كل فعل تلقائي يعززه النجاح ويحالفه التوفيق، شرط أن يتجاوز ذلك ليمتد إلى العالم الخارجي فيجعل منه منبهاً أكثر توافقاً مع النفس، والفن تعبير عن انفعال في العالم الخارجي يثير الفنان، فهو لغة الاتصال ولا بد من تعلم رموزها كي نفهم المعاني المندرجة تحتها، لكل فن من الفنون لغته الخاصة للتخاطب مع الناس، يجب الاتفاق على أن هناك لغة مشتركة بين الفنون جميعاً تحاول التعبير عما يدور في خلد النفس البشرية وعما يحس ويشعر به الفنان والإنسان العادي تجاه الحياة والوجود من فرح أو حزن أو جمال أو قُبْح، فجميع الفنون من رسم ونحت و موسيقا، تلتقي معاً محاولة تفسير الحياة وتعقيداتها، ففي قصائد الشعر المختلفة صور فنية ولوحات شعرية غنية بالجمال والانسجام والتوافق حققت الإيقاع الجميل بطُرقِه العديدة في الشعر، (عتيق، 1972، 54) فالتعبير الذاتي الموسيقي موضوع ينتمي إلى عالم الحقائق العقلية، وطبيعتة أقرب إلى النفس والمشاعر الداخلية منه إلى طبيعة المادة، فعندما تصادف النفس ما هو جميل تندفع نحوه لأنها تتعرف عليه؛ إذ إنه من طبيعة مشابهة لطبيعتها، وحين تُصَادف القبيح فهي تُصَدُ عنه وتنكمش على نفسها؛ لأنه مغاير لطبيعتها، وكل ما تَشَكّل حسب فكرة معقولة صار أجمل، فالجميل هو المصور، والقبيح هو ما يخلو من الصورة المعقولة، فالحَجَر مثلاً يستطيع الإنسان أن يشكل منه تمثالاً أو نموذجاً لشيء ما؛ مما يجعله يبدو أجمل من الحجر الخام الذي يُترك دون تشكيل، فالجمال سواء وجد في الفن أو في الطبيعة مصدره دائما ما يكمن فيه من توافق وانسجام وقدرة على التأثير في المُتلقي (إسماعيل، 1986، 39).

الموسيقا فن من الفنون الجمالية الاجتماعية الانسانية سهلة الانتشار بين الناس، توارثها الانسان عبر الأجيال منذ القدم. وانطلقت الموسيقى من مصدرين هامين أحدهما طبيعي كالصوت الصادر عن الطبيعة أو النبات أو الجماد، وثانيهما اصطناعي وهو الصوت الصادر عن الآلات الموسيقية التي صنعها ويصنعها الانسان لنفسه من أجل التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ومشاعره وانفعالاته وعن وجوده، وكذلك الإحساس بالمتعة عند سماع صوتها العذب الجميل. (قدوري، 1978، 16) لقد أصبحت الفنون الموسيقية الشعبية جزءا من ثقافة المجتمع ودعامة من دعائم المدنية الحديثة، فهي جانب هام من حياة الناس وجزء من حياة المنزل، وشطر لا غنى عنه في الحياة الإنسانية العامة[1]، أما الفن الشعبي فهو فن يخدم الاحتياجات الإنسانية ويكملها، وهو بطبيعته تعبير عن تكييف المواد والأدوات، فالإنسان حينما يُكسب أدواته النفعية طابعا فنيا، بزخرفة واجهات بيوته وأدواته المنزلية، أو تطريز ملابسه يعبر في ذلك عن قدرته الإبداعية والانفعالية والذاتية[2].

ارتبطت الفنون الشعبية الموسيقية في المجتمع الأردني بحياة الناس وبيئتهم، وتتمثل في التقاليد والعادات والقيم، فالأغنية الأردنية لازمت حياة الإنسان، فكان التعبير عن المواقف والمناسبات المجتمعية المختلفة من خلال انفعالاته و مشاعره الصادقة، تلك التي ساهمت في تكوين عناصر الأغاني التراثيةً فتعددت أشكالها وألوانها ومناسباتها، وتحتوي هذه الأغاني على عناصر وانفعالات وتعابير فنية موسيقية صادقة في الكلمة أو الإيقاع أو اللحن، أو الآلات الموسيقية المستخدمة أثناء غنائه، وقد أضفت هذه القيم من خلال انفعالاته وتعبيراته الذاتية الإنسانية على الأغنية الشعبية الأردنية خصائص واضحة وطابعاً مميزاً ساهمت في خلق عناصر هذا التراث الفني وتأصيله في أعماق المجتمع الأردني. (أبو الرب، 1980، 15-18)

تميزت المملكة الأردنية الهاشمية بالعديد من الألوان والألحان الشعبية والغنائية، وقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بدور حياة الإنسان الأردني منذ ولادته وحتى مماته، وتشهد كل مرحلة من مراحل حياته لونا معينا ونمطا خاصا وسمات تميز كل مرحلة منها عن الأخرى، معتمدة في ذلك على الأصالة، ومستمدة تكوينها الفني من تراث الشعب الأردني الذي ينتقل شفاهة من جيل إلى جيل معبرا عن روح الشعب وعن مختلف تقاليده، فالألحان الشعبية ما زالت للإنسان الأردني كظله تماما؛ يعبر من خلالها عن أفراحه وأتراحه ومشاعره، وتشكل الأغنية الأردنية عنصرا هاما في ماضي وكيان المواطن الأردني، ذواقا لأغنيته ممارسا لها في مختلف المناسبات. وتحتوي أغاني التراث الشعبي الأردني على نوعين أساسين من الغناء هما الغناء البدوي والغناء الريفي، ويحتوي الغناء الريفي على مجموعة كبيرة من الأغاني التي تصاحب المناسبات الخاصة بالمجتمع الأردني، أما الغناء البدوي فله أصول تاريخية، إذ يحتوي على العديد من العناصر الغنائية ذات قيم جمالية تمثل طبيعة البدو، مثل غناء الهجيني أو الشروقي أو الحُداء.

مشكلة الدراسة:

نظراً لاختلاف الخصائص العقلية والانفعالية والتعبيرية وما يرتبط بكل منها من اختلاف وتباينات في القدرة على التفكير المنظم والتعلم ومختلف القدرات بين البشر، ونظراً لعدم توفر دراسات وأبحاث علمية وأكاديمية تبين وتوضّح وتفسّر مفهوم التعبير الذاتي الموسيقي وأهمية ودور الانفعال والعاطفة في الأغنية الشعبية، فقد رأى الباحث ضرورة القيام بعمل دراسة توضح وتفسر مفهوم الانفعال و التعبير الذاتي الموسيقي، وأهمية ودور الانفعال والعاطفة في تكوين الأغنية الشعبية الأردنية لتوضيح دورها المختلف للبشر.

أسئلة البحث:

سعت الدراسة الحالية إلى الإجابة عن السؤالين التاليين:

1. ما هو مفهوم الانفعال والتعبير الذاتي الفني الموسيقي؟
2. ما هي أهمية الانفعال والتعبير الذاتي في تكوين الأغنية الشعبية؟

منهج البحث: اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي.

أهمية الدراسة:

إن هذه الدراسة ستساهم في توجيه الانتباه والتركيز على أهمية الأغنية الشعبية؛ لاحتوائها الكثير من المشاعر والانفعالات والعواطف والأحاسيس الإنسانية، واستخدام أسلوب التعبير الذاتي الموسيقي، كما سوف تعطي المجال للدارسين للتعرف على أهمية الانفعالات والتعبير الذاتي في الاغنية، فهذه المصطلحات العلمية ليست مقتصرة على المجالات الأخرى. فقد أصبحت الموسيقا في موقع مهم لتدخل ضمن تلك المجالات وتواكب المتغيرات، فالانفعالات والتعبيرات الذاتية الموسيقية العلمية لها الدور الكبير في تشكيل وتكوين الأغاني التراثية الشعبية الأصيلة، بل وحافظ عليها رغم ظهور التطور الفكري التكنولوجي الحديث، كما كان له الأثر في المحافظة على الأغاني الشعبية من الاندثار.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على مفهوم الانفعال و التعبير الذاتي الفني في التراث الشعبي الأردني.
2. التعرف على سمات ومفهوم الذات والإبداع والإبتكار خاصة في المجال الأدبي والشعر والموسيقا.
3. التعرف على مفهوم الفن من الناحية الانفعالية.
4. التعرف على بعض القوالب الغنائية الأردنية البدوية والريفية.
5. التعرف على كيفية ظهور الأغنية الشعبية في الأردن من خلال الانفعالات والتعبيرات الذاتية.

مصطلحات الدراسة:

الانفعالات: يشار إلى مفهوم عملية الانفعالات في اللغة اللاتينية بكلمة (Emovire)، أما في اللغة الإنجليزية يشار إليها بكلمة (Emotion)، وفي اللغة العربية فإن مفهوم الانفعالات مأخوذ من الفعل (انفعل، منفعل، انفعالات) أي تأثر متأثر. (يونس،2007 ،227)

التراث: هو مجموعة المقومات الحياتية الحضارية القديمة والباقية حتى الآن ليعيش الجيل الحالي على أساسها بعد تراكم الخبرات الإنسانية بتفاعل وتمازج غير مفروض. (حنفي، 1977، 11)

الأغاني الشعبية: أغانٍ احتضنها الشعب وغناها لسهولة كلماتها وبساطة ألحانها، قد تكون مجهولة أو معروفة الأصل منتشرة بين المجتمعات، وترتبط بمراحل حياة الإنسان ومعتقداته مشاركة في الكثير من العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية (أبو الرُب، 1980، 71)

التعبير الشفوي: فن نقل المعتقدات والمشاعر والأحاسيس والمعلومات والخبرات والأفكار من شخص إلى أخر نقلاً، يقع من المستمع أو المستقبل أو المخاطب موقع الوضوح والفهم والتفاعل والاستجابة، وهو من أكثر فنون اللغة شيوعاً، ويسمى الكلام، وهو فن الحديث أيضاً، ويسبق فن الكتابة، وتتطلب تنمية مهارات التعبير الشفوي تخطيط مواقف لغوية اجتماعية قريبة من الواقع، (شحاتة؛ النجار؛ عمار، 2003، 108). ومن الجوانب الأخرى في التعبير:

1. **الجانب الفكري:** ويقصد به القدرة على استهلال الكلام بمقدمة تحمل في مضمونها عنصر التشويق للتعبير عن الحاجة والمشاعر والأحاسيس والأفكار، وتقديم الإثباتات والأدلة المختلفة لدعم الفكرة، وإبداء الرأي فيما يشاهد ويسمع من أحداث. (الحوامدة؛ السعدي، 2015، 51)
2. **الجانب اللغوي:** هو القدرة على استخدام الكلمات المناسبة للسياق، واستخدام أسلوب وكلمات محددة في الدلالة والمضمون، والجمل الصحيحة في تراكيبها، وأنماط لغوية وجمل وصور بلاغية معبرة عن المعنى. (الحوامدة؛ السعدي، 2015، 51)

الدراسات السابقة:

1. دراسة بعنوان "فاعلية أناشيد الأطفال وأغانيهم في تنمية مهارات التعبير الشفويّ لدى تلاميذ الصف الأول الأساسي". (الحوامدة؛ السعدي، 2015) هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن درجة امتلاك الشخص قدرة ومهارة التعبير الذاتي الشفوي، وعلى أثر طريقة التعليم بمستوييها: أناشيد الأطفال وأغانيهم، والاعتيادية في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى التلاميذ في الصف الأول الأساسي، كما أظهرت النتائج أن طريقة التعليم وفق أناشيد الأطفال وأغانيهم كانت فاعلة في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى التلاميذ، وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي في إثراء الجانب النظري والمتعلق في أسلوب وطرق التعبير الشفوي والذاتي لدى الفرد وخاصة في الجانب التراثي الشعبي.
2. دراسة بعنوان "أساليب التعبير عن الذات والرأي وضوابطهما دراسة تربوية في ضوء السنة النبوية".(الحمد؛ منى، 2015) تناولت هذه الدراسة بيان أساليب التعبير عن الذات والرأي وضوابطهما، من خلال توضيح أسلوب التعبير الشفوي والكتابي والجسدي والتعبير بالصمت والتعبير بالعمل، وممارسة حق التعبير مقيدا بضوابط كفيلة بحسن استخدامه، وحفظ حقوق الآخرين ومنع الحاق الضرر بالفرد والمجتمع على السواء، ومن نتائج الدراسة أن العلاقة بين كل من مفهوم التعبير ومفهوم الذات ومفهوم الرأي هي علاقة تلازمية، فالإنسان لديه الحق في أن يعبر عن ذاته ورأيه مع المحافظة على حقوق الآخرين ومنع إلحاق الضرر بالفرد والمجتمع على السواء، وعدم الإخلال بالنظام العام، وحسن الآداب، وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي من حيث الاستفادة من مفهوم التعبير الذاتي ومفهوم الذات.

3. دراسة بعنوان "الغناء البدوي الأردني". (حداد، عبد السلام، 2006) هدفت هذه الدراسة التعرف على الحياة البدوية في المجتمع الأردني ونشأة الشعر البدوي وأوزانه ومقارنته مع الشعر العربي الفصيح، كما تناولت أهمية الآلات الموسيقية المستخدمة عند البدو، وإبراز أنواع الغناء البدوي وخصائصه. واعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي. ومن نتائج الدراسة التوصل إلى أهم خصائص الغناء البدوي الأردني من حيث التحليل الموسيقي والخصائص الغنائية والأنواع الغنائية والوحدات الزمنية، وترتبط هذه الدراسة بالبحث الراهن بمواضيع الأغاني البدوية، كذلك استفاد الباحث من تسليط الضوء على طبيعة الحياة والمناسبات الاجتماعية التي تمثل المجتمع في الأردن.

4. دراسة بعنوان "القيم الجمالية للغناء البدوي في المجتمع الأردني". (ناصر؛ علاء،2013) حيث تناولت الدراسة التفكير الفلسفي الجمالي في فن الموسيقى ومحاولة التوصل إلى دلالاته و أسراره الجمالية في الغناء البدوي الأردني وصولاً إلى تفسير جمالية هذا الفن وقيمته ووظيفته وأثره على المتلقي وسر بقائه واحتفاظه بمقوماته حتى الوقت الحاضر، حيث تشكل الأغنية التراثية فناً وكنزاً ثرياً تعددت أشكاله وألوانه أضفت على التراث ميزات وخصائص وطبائع مميزة ساهمت في خلق عناصر هذا التراث وقيمه وعاداته وتأصيله في أعماق المجتمع الأردني، كما وهدفت الدراسة إلى التعرف على القيم الجمالية في الغناء البدوي وعلى أنواع الغناء البدوي الأردني والمقامات والإيقاعات والآلات الموسيقية المستخدمة فيه. وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي في معرفة الجوانب الإبداعية والفكرية والتعبيرية لتطوير الأغنية التراثية وتأصلها في المجتمع.

5. دراسة بعنوان "مقام البياتي في أغاني العرس الريفي الأردني". (ناصر؛ علاء،2011) تناولت هذه الدراسة التعرف على مقام البياتي والإطلاع على بعض أغاني العرس الريفي الأردني من خلال مناسباته المتعلقة بالعادات والتقاليد الموجودة في المجتمع الأردني، حيث تعد أغاني العرس الريفي الأردني من أغزر وأثرى الأغنيات المأثورة بين جميع الأغاني الفلكلورية الأخرى ذات الوظائف الاجتماعية المختلفة، حيث يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في استخراج العديد من الأحاسيس والتعابير الذاتية الموجودة في الأغنية التراثية من أجل المساهمة في المحافظة على عملية التأصيل والاستمرارية في عملية تذوقها خوفاً من إندثارها وضياعها.

6. دراسة بعنوان "أثر التعبير الذاتي والخبرة البصرية في تنمية الإدراك الحسي لدى أطفال الرياض في محافظة ديالي"، (حميد؛ حذام، 2007) حيث تهدف هذه الدراسة التعرف على التعبير الذاتي والخبرة البصرية في تنمية الإدراك الحسي لدى أطفال الرياض، إضافة إلى معرفة الفروق بين الذكور والإناث في تنمية الإدراك الحسي بعد استخدام الخبرة البصرية، حيث تم الاستفادة من هذه الدراسة في كيفية استخدام أسلوب التعبير الذاتي الفني عند الفرد، وكيفية الاستفادة من مفهوم الإدراك الحسي في النمو المعرفي والاجتماعي والوجداني لكونها تتضمن تفكيراً منطقياً في عملية الوصف والتحليل.

7. دراسة بعنوان "إمكانية توظيف الأغنية الأردنية في تعليم العزف على آلة العود للمبتدئين". (الغوانمة؛ محمد، 1989) تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مواضيع البيئة الأردنية وطبيعة الحياة الأردنية، وأهم القوالب الغنائية الأردنية ومنها الغناء البدوي بأنواعه، اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي وتحليل العديد من الأغاني الأردنية وتوظيفها في ابتكار تمرينات عزفية مُنهجة لتعليم العزف على آلة العود للمبتدئين في الأردن، وترتبط هذه الدراسة بالبحث الراهن في التعرف على أنماط الأغنية البدوية في المجتمع الأردني.

الانفعال والتعبير الذاتي الموسيقي:

يعتبر الإنفعال من المفاهيم الشائعة في مجال علم النفس، يتمثل في عملية طبيعية مركبة لا بد من تحليله إلى أجزاء من مختلف وجهات النظر، حيث تركزت المشكلات الأساسية حول العلاقة بين الإنفعال الشعوري والتعبيرات الجسمية، ثم تطور المفهوم الانفعالي بالمظاهر الموضوعية للإنفعال، حتى يستطيع المرء أن يميز بين الموقف الذي يثير الإنفعال ورد الفعل الحادث، فالإنفعال يشير إلى ما يتعرض الانسان له من إستثارة تطرأ عليها تغيرات فسيولوجية وما ينتابه من مشاعر وأحاسيس وجدانية ومن رغبة في القيام بسلوك يتخفف به من هذه الإستثارة سواء كان مصدر الإستثارة الإنفعالية داخليا أو خارجيا فهو وثيق الصلة بحاجات الكائن[3].

إن عملية الانفعالات كباقي المفاهيم في علم النفس لا يوجد لها تعريف إجرائي واحد، ومعياري متفق عليه من قبل جمهور علماء النفس كافة، ذلك لاختلاف خصائص ومكونات ووظائف الانفعالات، بالإضافة إلى الفروق في الخلفيات النظرية لدى علماء النفس، يمكن الإشارة إلى بعض التعريفات الإجرائية لعملية الانفعالات، فهي عملية عقلية عليا غير معرفية،وهي حالة وجدانية عنيفة تصحبها تغيرات فسيولوجية وتعبيرات حركية مختلفة، وإنها حالة معقدة أو مركبة من حالات الكائن العضوية، وحالة وجدانية طارئة أو عابرة، فالقاسم المشترك في كافة التعريفات الإجرائية اعتبرت الانفعالات حالة وجدانية داخلية مفاجئة، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً. (يونس، 2007، 227-228) وإن كثيرا من الأغاني الريفية أخذت ألحانها من خلال ما عبرّ به الإنسان من انفعالات عما يشاهده من أحداث حياتية أمامه، وخاصة إذا كان ضمن مجموعات كما في أغاني العمل مثلاً، حيث يكون الإحساس الانفعالي التعبيري بالحركة، كذلك ما يحدث من انفعالات وأحاسيس وتعابير ذاتية في أغاني زفة العريس، حيث تم التعبير الانفعالي من خلال ما تم كتابته حسب الموقف الإنساني وما صاحبه من انفعالات ومشاعر جسّدت الموقف لدى الإنسان الذي حول تلك الانفعالات والتعابير الذاتية الى الكلمة واللحن والإيقاع، فتلك الأغاني أصبحت تمثل حياة واقعية مجتمعية عايشت ولازمت الإنسان، وتناقلها عبر الأجيال وبالتالي أصبحت تحمل الصبغة الشعبية، مثل:

تْلولَحِـي يـا دَالْيِـــــهْ يـــا امِّ غْصُـــونِ العَالْيِـــهْ
تْلولَحِي عَرْضيـنِ وْطُولْ تْلولَحِي ما اقْـدَرَ اطُــولْ
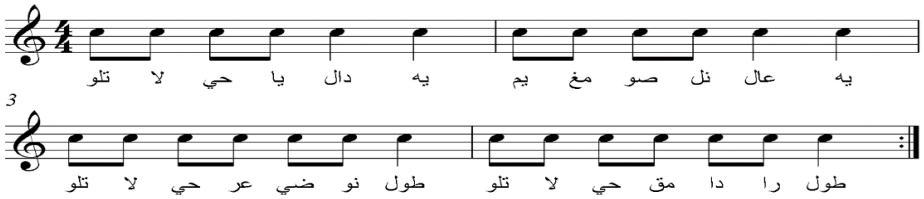
مدونة موسيقية رقم (1)، تْلولَحِي يا دَالْيِهْ (غوانمة، 2010)

إن الفنان يتلقى المؤثرات الجمالية من الواقع حوله، ثم يعمد إلى تخزينها في نفسه، ثم يقيم بينها علاقات جديدة لم تكن موجودة في الواقع البيئي الذي أستحدث منه؛ فالفنان يسير في ثلاث مراحل أساسية هي مرحلة التلقي من الخارج، ومرحلة تصنيع ما يتلقاه بداخله فيحوله إلى مركبات جديدة وذلك بأن يقيم علاقات جديدة تماما لم تكن قائمة بين تلك المقومات التي سبق أن تلقاها، وأخيرا مرحلة التقديم أو مرحلة الإبانة الفنية، والتقديم الفني أو الإبانة الفنية يعتمد في الواقع على ما تمكن منه الفنان من عمليات وأداءات فنية تقنية، والفنان شخص يمتاز بسرعة الالتقاط من جهة وبدقة الالتقاط من جهة أخرى، ويستطيع ملاحظة ما لا يستطيع الآخرون من حوله ملاحظته، ويستطيع أن يسبر أغوار الواقع من حوله فيقف على ما تمتع به الأشياء من جمال، كما يستطيع أن يلمح الحركة التي تصدر عن بعض الأفراد فيكتشف ما فيها من تعبيرات جمالية؛ فهو يشاهد بعين فنية ويسمع بأذن فنية ويستطيع أن يميز الأصوات والملامح الصوتية ونغمات

الموسيقا لا يكاد غيره يقف عليها أو يميزها، كما أنه يعمد لا شعوريا إلى استيعاب ما يراه فيلتقط النغمة الجميلة أو اللون الملائم أو النسب الجميلة في الأشكال والأحجام، وفي الواقع أن ثمة عالمين لدى الفنان؛ العالم الداخلي الذي تشكل لديه منذ طفولته وحتى وقته الراهن، والعالم الخارجي الموضوعي الذي يظل الفنان يتأثر به ويأخذ عنه، وإن أخذ الفنان من هذا الواقع البيئي ليس مجرد تقبل ساذج وبسيط بل هو تقبل تفاعلي. ولا يكون التقبل بغير شروط، بل إن شرطه الأساسي هو مناسبته لذلك القوام الخبري الداخلي أو قل أن شرطه أن يكون ما تقبله متوائما مع ما سبق أن حصّله، إذ لا بد أن يتحقق التجانس بين ما يتقبله الفنان من خارج ذاته وبين ما سبق أن تكون وتشكل وتبلور لديه في دخيلته، وهذا هو في الواقع ما يميز الفنان عن سواه عن الآخرين من غير الفنانين. (أسعد، 10،1995)

ومن الأغاني الشعبية ما عبّر فيها الإنسان عن إنفعالاته وتعبيره عن ذاته عند مشاهدته للحصادين أثناء حصاد وجمع سنابل القمح، فانه تأثر بهذا المشهد الشعبي الإنساني، نرى ذلك من خلال ما كتبه من أغانٍ تبعث في نفسه الفرح، بل وتجعل أبناء المجتمع يفرحون بهذا الغناء الشعبي، ويعبرون عن مشاعرهم وانفعالاتهم لدى سماعه، مثل:

مِنْجَلِـي يـا مِنْجَـلاهْ رَاحْ لَلصَّـايغْ جَــلاَهْ
مـا جَــلاَه إلاَّ بْعُلْبَـهْ ريـتْ هَالْعُلْبَــهْ عَـزَاهْ
مِنْجَلِـي يا بُـو رَزَّهْ ويْشْ جَـابَكْ مِـنْ غَـزَّهْ
جَابَنِـي حُـبَّ البَنَـات وِالعْيـوُن النَّـاعْسَــاتْ
(غوانمة:2010)
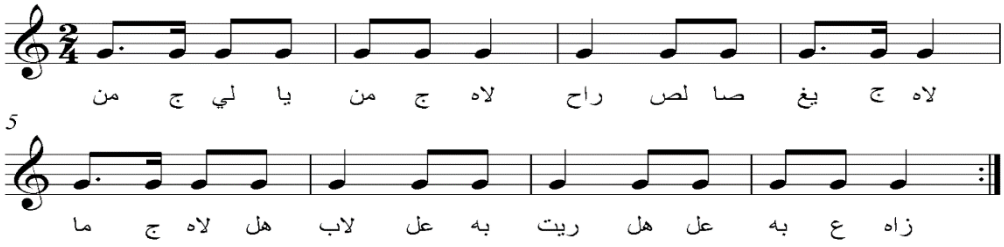
مدونة موسيقية رقم (2)، مِنْجَلِي يا مِنْجَلاهْ

الفن عبارة عن رسالة يريد الفنان إيصالها إلى الآخرين من حوله، فهو يشاهد في الفن أداة يعبر من خلالها عمّا يعتلج في صدره من أحاسيس وجدانية ومن أفكار أو اتجاهات أو قيم، إن جميع الناس فنانون ولكن بدرجات؛ ذلك أن الإنسان لديه دائما حاجة إلى الإبانة عن نفسه، وإلى أن يقيم بينه وبين الآخرين صلات وعلاقات، والفن يحقق ذلك، فهو الأداة أو الوسيلة التي يقيم المرء بواسطتها علاقات مختلفة بين الناس، ويجد الفنان نفسه مشدودا لما يشيع في بيئته الاجتماعية المحلية من قيم فنية، أو قد يجد نفسه منجذبا إلى مجتمعات أخرى بعيدة عن مجتمعه، مما يشكل تناغما في داخله لصياغة الأفكار والتعبير عن نفسه، والفنان بهذا يكون قد اتخذ لنفسه موقفاً في فنه، لإن استيعابه للفنون المغايرة لفنون مجتمعه يكون قد بعث روحاً جديدة في فنه البيئي. (أسعد، 17،1995) وترتبط عملية الانفعال بالعديد من المفاهيم النفسية من أبرزها العاطفة؛ وهي تنظيم وجداني مكتسب أو استعداد ثابت نسبياً ومركب من عدة انفعالات تدور وتتبلور حول موضوع معين، أو هي استعداد أو ميل عاطفي يدور حول فكرة شيء ما. ويختلف الهيجان عن العاطفة. (يونس، 229،2007)، مثل:

بَاللهِ قُومُـوا يـا عَـرَبْ يا أهل الشَّيَمْ يا اهْـلِ الأَدَبْ
رُدُوا وَطَنَّــا المُغْتَصَـبْ جُـزْءً سُـلِبْ لِلْمُسْـلِمِيـــنْ
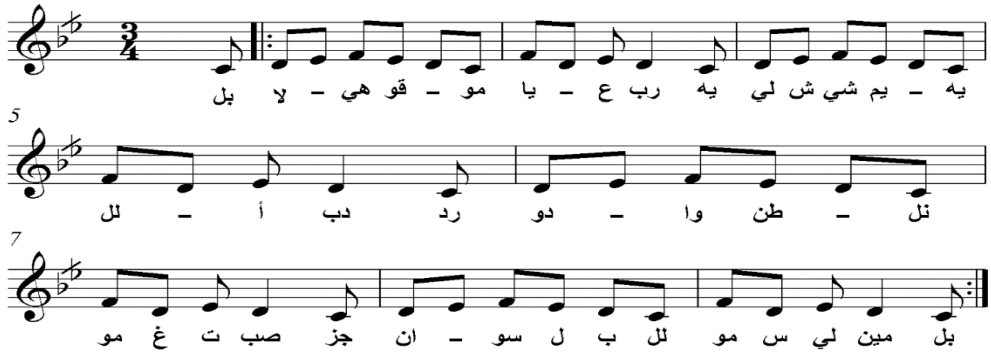
مدونة موسيقية رقم (3)، بَاللهِ قُومُوا يا عَـرَبْ

أما الحالة المزاجية للإنسان البشري من العناصر الأساسية لوجوده على الكرة الأرضية، فتعتبر من العوامل والعناصر التي تساعده على الإبداع والابتكار في جميع المجالات إن كانت تربوية أو تطبيقية، والمزاج هو التكوين الموروث في الشخصية، وهو الذي يستمر طوال الحياة ويشير إلى خواص الشخص العاطفية التي يتسم بها سلوكه، والحالة المزاجية حالة وقتية أو حالة عابرة للفرد لا تتمثل بالصورة في الميل أو النزعة الدائمة، كما أن هناك من العلماء من يرى أن النواحي المزاجية يقصد بها الاستعدادات الثابتة نسبياً على ما لدى الشخص من الطاقة الانفعالية، تظهر في الحالات الوجدانية والمشاعر، والانفعالات من حيث سرعة استثارتها أو بطئها، ومن حيث قوتها أو ضعفها، ومن حيث قابليتها للبقاء أو الزوال أو التغير. (جابر، 2013،464)

عناصر الانفعال:

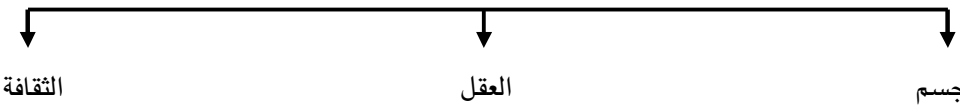

التعبير الذاتي:

يعتبر مفهوم الذات من المفاهيم القديمة في التاريخ الانساني حيث مرّ بنمو فلسفي عبر التاريخ، ويعتبر من أبرز المفاهيم النفسية، والذاتية هي كل شيء يستطيع الانسان أن يدعي أنه لجسمه، سماته، وقدراته، وممتلكاته المادية والأسرية وأصدقاؤه وأعداؤه ومهنته وهوايته، وهي من الطرق التي يستجيب فيها الفرد لنفسه. وتتكون الذات من أربعة جوانب هي كيفية إدراك الفرد لنفسه، وما يعتقد أنه نفسه، وكيف يقيم نفسه، وكيف يعززها، (سوسن، 2008،192) و مفهوم الذات هو من الأبعاد المهمة في الشخصية الإنسانية التي لها أثر كبير في سلوك الفرد وتصرفاته، حيث يلعب دوراً كبيراً في توجيه السلوك وتحديده، فالكيفية التي يدرك بها الفرد ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلكها. ومفهوم الذات ذو أهمية كبيرة في تكيف الفرد، لذا فإن معرفة كيفية إدراك الفرد لذاته تساعد في عملية تقويمه، ومفهوم الذات يعني (فكرة الفرد عن ذاته) وهي من أبرز المفاهيم التي تبين شخصية الفرد وحجر الزاوية لها، والتي تمثل مجموعة السمات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، ولذلك فهو واحد من أهم العوامل المؤثرة في السلوك الاجتماعي للأفراد ومن بينهم شريحة الشباب وتكون الذات مطلبا من مطالب النمو الرئيسية، وخلق حالة من التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي للأفراد. ويستخدم مفهوم الذات للتعبير عن جميع الأفكار والمشاعر والمعتقدات المتكونة لدى الفرد عن ذاته، وهي تشمل في الغالب خصائصه، وتعبر عن معتقداته وقيمه وقناعاته وطموحاته، (محمود؛ مطر، 2011،19-23) إن مفهوم الذات افتراضي مدرك يتشكل من خلال المتغيرات البيئية الكثيرة التي لا

يمكن الفصل بينهما تماماً، فهي تشترك بدرجات متفاوتة مع بعضها، (الظاهر، 7،2010). لذلك تعتبر الحاجة إلى التعبير عن الذات وتوكيدها هي الحاجة التي تدفع الفرد إلى التعبير عن ذاته والإفصاح عن شخصيته أمام الآخرين وتوكيدها بأن يحقق ما لديه من أراء أو أن يقوم بأعمال نافعة وذات قيمة وأهمية للآخرين، وبعبارة أخرى هو بحاجة إلى التعبير عن نفسه بالكلام أو الفعل وخدمة الآخرين.(محمود؛ مطر، 171،2011)

ومن سمات مفهوم الذات:

1. مفهوم الذات المنظم Organized: إن الفرد يدرك ذاته من خلال الخبرات المتنوعة التي تزوده بالمعلومات ويقوم الفرد بإعادة تنظيمها حيث يصوغها ويصنفها وفقاً لثقافة الحاجة.
2. مفهوم الذات متعدد الجوانب Multifaceted: وهي الخبرات التي يمر بها الفرد.
3. مفهوم الذات الهرمي Hierarchical: يشكل الذات هرماً قاعدته الخبرات التي يمر بها الفرد في مواقف خاصة وقمته مفهوم الذات العام. (الظاهر، 42،2010)

يعرف تقدير الذات بصورة شاملة على أنه تقييم المرء الكلي لذاته إما بطريقة إيجابية أو سلبية، ويشير إلى مدى إيمان المرء بنفسه وبأهليتها وقدرتها واستحقاقها للحياة، فالتقدير الذاتي له تأثير عميق على جميع جوانب الحياة، فهو يؤثر على مستوى الأداء في العمل وعلى الطريقة التي نتفاعل بها مع الناس وفي قدرتنا على التأثير على الآخرين وعلى مستوى صحتنا النفسية. (مالهي، 7،2005) والذات تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقيمات الخاصة بالذات، يبلوره الانسان ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته، فتحقيق الذات هو نتاج الخبرات التي يمر بها. وتقييم الفرد لذاته يتولد من الصغر تدريجياً مع الرغبة في تحقيق الذات المثالية التي يحلم بها، (فايز، 2016، 16) كما يتمثل مفهوم الذات في تقدير الشخص لقيمته كإنسان، ومفهوم الذات يحدد إنجاز المرء العقلي ويظهر جزئياً في خبرات الفرد بالواقع واحتكاكه فيه، كما يتأثر تأثيراً كبيرا بالأحكام التي يتلقاها من الأشخاص ذوي الأهمية الانفعالية في حياته. (عادل، 2008، 573)

والمثيرات البيئية من العوامل المؤثرة بالتعبير الذاتي، لذا فإنه من الواجب على المرء أن يرى نفسه ضمن الوضع العام من تقديره لذاته تقديراً صحيحاً، لأن النفس الإنسانية تحتوي على احتمالات بالغة لنمو الكفاءة الشخصية والسعادة والقدرة الاجتماعية والثقة بالنفس وهذه مقومات تقبل الذات، ولا يأتي تحقيق الإمكانيات إلا إذا تكونت لدى المرء الصورة الحقيقية عن الذات وكان خالياً من التأثر باتجاهات الآخرين. (الجيزاوي، 2012، 38) إن عملية التعبير الذاتي متعلقة بوجود عمليات حسية تحدد من خلال حواس البصر والسمع والشم واللمس والذوق، وأضيفت لها الحواس الجلدية والحواس الحركية، ويعتبر البصر من العمليات الحسية التي لها أهمية في عملية الإدراك، وللسمع أهمية في استقبال الموجات الصوتية وتحويلها إلى نشاط أو طاقة تنتقل إلى الدماغ، (حميد، 2017، 198) فالتعبير الذاتي يعتمد على عملية الإحساس من خلال تتابع الأحداث، فلابد من وجود مثير لتحقيق نوع من الاستجابة، حيث تبدأ عملية الاستقبال بتلقي الإشارة ثم ينشط المخ وتتحول الإشارة إلى إحساس، فالحواس لها دور كبير في تكيف الفرد مع ما يحيط به من بيئة يتأثر فيها ويؤثر. (حميد، 2017، 198)

إن القدرة على تكوين مفهوم للذات تزداد بازدياد السن والذكاء والتعلم والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، فالطفل غير قادر على تكوين مفهوم عن ذاته إلا أنه بنمو قدراته يبدأ تدريجياً بتكوين مفهوم نمطي مقبول اجتماعيا عن ذاته، ويبقى هذا المفهوم عن الذات سائداً في مرحلة المراهقة، إلا أنه ومع تزايد النضج يبدأ الفرد بتكوين مفهوم متمايز وواقعي عن ذاته فيدرك ما يميزه عن غيره ويتقبل ذاته كما هي. ومما يحدد مستوى مفهوم فهم الذات لدى الفرد مستوى ضبطه لاندفاعاته و تحديد اتجاهاته الاجتماعية

وجوانب أخرى هامة من شخصيته. (محمود؛ مطر، 2011، 13-14) وعلى هذا الأساس يأخذ مفهوم الذات ثلاثة أبعاد مختلفة:

1. **الذات الواقعية Actual Self:** وهي إدراك الفرد لقدراته ومكانته وأدواره في العالم الخارجي، لديه صورة عن ذاته كشخص له كيان، ذو قدرة على التعلم، وإن مفهوم الذات في هذه الحالة يتأثر بعوامل عدة منها حالته الجسمية ومظهره الشخصي وقدراته ومكانته وقيمه وأدواره ومعتقداته ومستويات طموحه. (محمود؛ مطر، 2011، 14)
2. **الذات الاجتماعية Social Self:** وهي فكرة الفرد عن نفسه كما يعتقد أن الآخرين يرونها، وهذا يؤثر على السلوك. (محمود؛ مطر، 2011، 14)
3. **الذات المثالية Idea Self:** وهي نظرة الفرد إلى نفسه كما يجب أن تكون وهذه النظرة قد تكون واقعية أو قد تكون منخفضة أو مرتفعة طبقاً لمستويات الطموح عند الأفراد، ومدى علاقة ذلك بقدراتهم والفرص المتاحة لهم لتحقيق الذات. (محمود؛ مطر، 2011، 14-15)

يشترك الفنان والأديب في محور واحد وهو التعبير الوجداني عن الذات، فليس هناك أدب وليس هناك فن يخلو من الإحساس الوجداني يعتمل في قلب الأديب أو قلب الفنان، و بتعبير أخر فإن التمييز بينهما لا يقوم إلا على أساس التعبير الخارجي، فالفنان يرسم بريشته أو ينحت بإزميله أو يعزف على الآلة الموسيقية، ولكنه في جميع هذه الفنون لا يختلف اختلافا جذرياً عن الشاعر وهو يقرض الشعر أو الناثر وهو يكتب النثر الفني، ومن جهة أخرى فكأن المصور يقدم الشعر من خلال ما يرسمه من لوحات، وكأن الموسيقار ينطق من خلال موسيقاه شعراً ونثراً وعبارات أدبية رائعة، فإن لدى الفنان فرصاً للتعبير الذاتي بشكل أكبر، حيث أن لديه الفرصة الكاملة للإتيان بقواعد شخصية ذاتية، وإذا كان في مقدوره أن يأتي بمثل تلك القواعد فلديه الفرصة في الإستغراق الفني والتعبير الفني المباشر، كما يستطيع أن ينقل مشاعره خلال وسيلة التعبير الذاتي التي اختارها لنفسه بغير خوف من خطأ لغوي يقع فيه، إنه سلطان الموقف يُجري في المادة أو على الأوتار ما يعن له من مشاعر، وهل هناك أروع من تعامل الفنان مع فنه مباشرة يضرب من خلاله على أوتار القلوب بغير قيود من لفظ أو معنى (سعد، 2002، 73-76) فالفنان يستطيع أن يجعل الهامه مفعما بالحيوية من خلال وسائل تعبيره الذاتي الفني وانفعالاته الداخلية، إن الفنانين المحدثين قد حطموا قيود الواقع، فانتحوا إلى الرمزية التي تتسم بالسرعة فصار الفنان رمزياً في تعبيره، والرمزية في الواقع هي اللغة الشعرية التي تحاول إيصال الإحساس الوجداني فطرياً وعفوياً وتلقائياً إلى مجال التعبير الذاتي الفني، فالكثير من المشاعر يمكن أن تجد لها مجالاً تجسيدياً يتجسد فيه الفنان الأصيل الذي يلتقط إلهاماته فورياً وينقلها بطريقة خاطفة إلى نطاق التعبير الفني وهو الذي يعيش في عالمه الذاتي متحرراً من قيود الواقع. (سعد، 2002، 77)

نشأة الفكرة الإبداعية والابتكار الفني:

تعتبر الثقافة عاملاً مهماً في تصنيف المجتمعات والأمم وتميز بعضها عن بعض؛ ذلك نظراً لما تحمله مضمونات الثقافة من خصائص ودلالات ذات أبعاد فردية واجتماعية وأيضاً انسانية، فشخصية الفرد تنمو وتتطور من جوانبها المختلفة داخل الإطار الثقافي الذي نشأ فيه، وتعايش وتفاعل معه، حتى تتكامل وتكتسب الأنماط الفكرية والسلوكية التي تسهل تكيف الفرد وعلاقاته بمحيطه العام، فتكسب الثقافة للفرد الاتجاهات السليمة لسلوكه العام، كما تنمي الثقافة المشتركة في الفرد شعوراً بالإنتماء والولاء فتربطه بالآخرين في جماعته بشعور واحد، فالثقافة عاملاً من عوامل الإبداع. (مأمون، 2008، 97)

يعرف شتاين stein الإبداع أو الإبتكار بأنه عملية ينتج عنها عمل جديد يرضي جماعة ما، أو تقبله على أنه مفيد. ويعتبر هذا التعريف للابتكار المنظور، أما الابتكار الكامن فإنه يذكر حينما لا تتوفر في

الشخص ما نص عليه هذا التعريف ولكنه مع ذلك يؤدي في الاختبارات السيكولوجية نفس أداء الأشخاص المبتكرين، كما يميز (جيل فورد) Guilford أن الجهد الإبداعي والإنتاج الإبداعي هو ذلك الجانب الذي يمس الذوق العام للجمهور، لأن إنتاج الشخص الخلاق والمبدع يأخذ عادة الشكل الظاهر للعمل الإبداعي مثل الشعر، والرواية، والقطعة الموسيقية، والاختراع، والتصوير. إن الإنتاج الظاهر لا بد أن يكون له مظاهر جديدة كما أن التفكير الذي يؤدي إلى هذا الإنتاج له أيضاً مظاهر جديدة في كلتا الحالتين، ومن المظاهر الجديدة التي تصف إنتاجا ما بالإبداع، إن المفكر الفني في طريقه إلى إنتاجه النهائي الظاهر يصل إلى نواتج جديدة، فتلك الأفكار المتولدة لها أيضاً فرص كثيرة لتصبح جديدة. (العمرية، 2005، 213)

يعتبر الإبداع من أبرز المزايا العقليّة فقد ساعد الإنسان على التقدم منذ أقدم العصور، وإيجاد الطرق لسد الاحتياجات الأساسيّة وتوفير إمكانيّات الرفاهية، وحدد العلماء عدة مستويات للإبداع منها الإبداع الفردي والإبداع الجماعيّ وغيرهما من أنواع الإبداع المرتبطة بطريقة حياة الإنسان الحديث، وقد حاول علماء النفس والفلسفة وضع تعريفات للإبداع واكتشاف طريقة عمل العقل البشريّ لإخراج الأفكار الإبداعيّة، وذلك لتحديد مفهوم عام وشامل للعمليّة الإبداعية، ويعرف الإبداع على أنّه القدرة على ابتكار أعمال متقدمة وحديثة في أي مجال من مجالات العلوم أو الفنون أو الحياة بصفة عامة [4]. فالمرحلة الأولى هي البذرة الأساسية للإبداع ففيها يتفتح المبدع فجأة على البدايات الأولى لعمله، وتأتي تلك البدايات في الغالب بشكل مفاجئ وغامض، ومن هنا يتجه المبدع من خلال تدوين الملاحظات وإدارة الحوار وإلقاء الأسئلة وجمع الشواهد وتسجيلها، ومن المؤكد أن نجاح هذه المرحلة يعتمد على وجود تلك القدرات لدى المفكر، بحيث يستطيع الفكر أن يكون الخامات الضرورية التي تساعد على الانتقال الناجح للمرحلة الثانية، فالفنان وعاء مليء بالانفعالات التي تأتيه من كل مواقع السماء والأرض، والفنان يرسم ويغني ليتحقق من وطأة تلك الانفعالات وازدحام عقله بالتعبير الذاتي والانفعال الداخلي، إن خلق الاتجاه الإبداعي العام وتحديد جانب معين والاهتمام به والتهيؤ لعملية جمع المعلومات الملائمة واستيعابها والعمل المكثف والموجه لتأييد الفكرة وإثرائها يساهم في إبراز التغيير عن الفرد، وعلى هذا فقد يستغرق العمل الإبداعي من مرحلة الإلهام إلى مرحلة التحقيق العقلي سنوات عديدة، إن وجود الدوافع الشخصية تساعد في طريق الابتكار والأصالة واتخاذ أسلوب إبداعي، إضافة إلى اكتشاف القدرة على الاستمرار في أداء معين لفترة زمنية، إن الاعتماد على الرؤية الذاتية للواقع في الفن يجعل الخيال ذا دور رئيسي، وبالرغم من أن القصيدة الشعرية قد تكون مختلفة عن المسودة التي كتبها الشاعر، فإن صدى تلك لا يختفي تماما، وقد تظهر عباراتها في كثير من عبارات القصيدة المنشودة. (العمرية، 2005، 56) إن عملية الإبداع تعتمد على أسلوبين، الأول هو لا إرادي يبرز بفعل تأثير اللاشعور أو الحدس، والثاني إرادي تتضح فيه موهبة الشاعر وثقافته ومهارته الفنية، وبذلك يكون الإبداع الشعري عملية مركبة تمزج بين الذاتي والموضوعي، ويتضافر فيها الجانب اللاواعي في علاقة جدلية، مع الجانب العقلاني وبمعنى آخر: إن بنية الذات الفنية نسق متكامل، يحتوي على عناصر عقلية وانفعالية محتومة بظروف تاريخية محددة، وبيئة اجتماعية محددة، فإن العملية الإبداعية في جوهرها عملية متكاملة. (الفتياني، 2017، 220)

إن التفكير الابداعي هو قدرة الإنسان على إبداع ما هو فريد من نوعه أو خارق للعادة الأمر الذي يدفع الإنسان إلى ابتكار الجديد، يعرف على أنه نوع من التفكير الذي يوضع في نمط معين حيث يؤدي إلى نتائج إبداعية، فالتفكير الإبداعي ويحتاج إلى إيجاد فكرة مبدعة ومصمم مبدع حيث تتحدد هذه السمات الإبداعية عن طريق النتائج، وهو هنا نشاط عقلي يهدف إلى البحث والوصول في جميع الحقول العلمية إلى نتائج وحلول جديدة واستخدامها لحل المشكلات الملائمة، ويتميز التفكير الإبداعي بالشمول والتعقيد وذلك لتداخل وتشابك جميع العناصر المساعدة في إيجاده وتطويره. (خصاونة، 2015، 1220)، لا يهتم المجتمع

بحاجته الأساسية ككل فقط، بل هو يهتم بالحاجات الخاصة بكل فئة من أبنائه، وما يعمل على إسعادهم وارتقائهم؛ فهو يهتم بإلهام بعض أفراده لتقديم الشعر والموسيقا والفن عامة والعمل على إسعاد أبنائه والاستماع بما يقدمه إليهم من خلال العباقرة من نتاجات فنية وعلمية، وهي نتاجات لا يكون أولئك العباقرة إزاءها سوى مترجمين عما يدور بخلد المجتمع من رغبات ومثل عليا. هنالك أنواع متباينة من الذكاء، فهناك إلى جانب الذكاء العقلي المنطقي الذكاء الوجداني الذي يتعلق بإقامة صلات وعلاقات بين الانفعالات والوجدانيات والعواطف المتباينة، والى جانب الذكاء الوجداني هنالك ما يسمى بالذكاء التعبيري الذي يضم الحركات والإشارات والإيماءات والكلمات والعبارات وموسيقا الكلام، فالشخص الذي يستحدث إشارات جديدة سواء لغة الكلام أو لغة الكتابة أو كلمات أغنية أو لحنا تكون له المقدرة في التعبير الذاتي والانفعالي بطريقة إبداعية انفعالية. إن ما يعرف بالتعبير الذاتي المبتكر والذي ينصب على إقامة علاقات دقيقة بين النغمات والوضع النفسي أو الحالة والمناسبة الاجتماعية المجتمعية يعتبر عنصرا من عناصر الإبداع والذكاء، فأغنية الربيع لفريد الطرش تعد مثالاً لما ألهم به ذلك الفنان، كذا الحال عند كثير من الملحنين والفنانين، والواقع أن الفنان لا يكون بعقله الواعي وهو يبدع إلهامياً بل يكون غائباً إلى عمق أعماقه، فهو لا يكون مجرد شخص يركز ذهنه في المقومات اللحنية المطروحة أمامه، بل يكون في مرتبة أعلى من هذه المرتبة الذكائية، لأن يكون بلغ المرتبة الإلهامية، (سعد، 2002، 25- 37)

ومن مجالات الإبداع و الإلهام:

المجال الأدبي، الشعر:

ومن مقوماته الأساسية الموسيقا اللفظية، والمعاني المشبعة بالوجدان، تعبير الخبرة الشخصية الفردية عن خبرة جماعية تهم أناساً كثيرين، والموسيقى اللفظية ضرورية للشعر مع الاعتراف بإمكان التجديد في القوالب الموسيقية اللفظية. على أن الموسيقا الشعرية يمكن أن تكون خطراً على الشعر نفسه إذا ما دخلها الافتعال والتصنع، فعلى الشخص الذي يريد تعلم الشعر أن يقف على أصوله الموسيقية وأن يتدرب عليها بالدراسة والفهم والتدرب اليومي، (سعد، 2002، 69-70) والقصيدة الشعرية بمثابة كائن حي يولد على لسان الشاعر أو قلمه بعد أن يتم الحمل بها في قلبه وعقله، وبعد أن تمر بمراحل نمو في دخيلته وعندما يتم لها النضج كي تولد، فإنها تنبعث عفوياً إلى الخارج عن طريق استخدام أسلوب التعبير من خلال اللسان أو القلم، وبتعبير أخر فإن القصيدة الملهمة الأصيلة ليست مجرد أبيات شعرية متناثرة يقوم بها الشاعر بربط فيما بينها، ومن أمثلة ذلك:

وإن جاد حظك كل شي صفا لك وقرايب الخلان كلن يصافيـــك
وإن جاد حظك بالمجالس حكى لك واصدق مقالك كل من لك يحاكي
وإن جاد حظك بالمنـازل بنى لك بيت رفيع شامخ الطول يذريـــك
(حجاب، 2007، 78)

كذلك:

دار دعتنا للفرح واجب علينا نزورهـــا
يا شيخنا يا أبو " فلان" واحنا شبابك كُلنا
(حجاب، 2003، 67)

كذلك:

دَلْعَـنْ شَجَانِي بَحْرُ جَدِيدُ فَعْلُـنْ فَعُولُـنْ فَعْلُـنْ فَعُولُـنْ
مَالَتْ وَقَالَتْ أَهْلاً وَسَهْلا مِنْ كُلِّ حُلْوٍ فِي العَينِ أَحْلَـى
أَنْتَ مِن رُوحِـي وَاللهِ أَغْلَـى أَنَا فِي الهَوَى صِرْتُ مَجْنُونـا

يا مَنْ سَكَنْتَ عَـشٌ فُـؤَادِي إِلَيْـكَ أُهْـدِي حُبِّـي وِدَادِي
ذِكْـرُكْ شَـرَابِـي هَـوَاكَ زَادِي عَيْـنَـاكَ بَحْرٌ يُسْقِـي عُيُونَـا
طُـول اللْيَالِـي أَنْتَ بِبَالِـي طَيْفُكَ الغَالِي دَوْمَـاً بِخَيَالِـــي
أَرْجُـوكَ إِرْحَمْ وَارْأَفْ بِحَـالِي رِفْقَـاً بِقَلْبِي وَكُـنْ حَنُونَـــا
(غوانمة، 2010)

إن قوالب الغناء الريفي الأردني تنظّم من الأوزان العروضية الشعبية التي تعتمد نظام التفعيلة المعتمدَة على لحن القالب لا على عمودية الشعر بتفاعيله الخليلية، حيث الاعتماد على الأوزان الشعرية خفيفة النظم سريعة الإيقاع، وهي ذات علاقة بما تتطلبها حلقات الدبكة الشعبية من سرعة وأداء، فالغناء يبتعد عن الالتزام بوحدة القصيدة المتكاملة والقافيتين المتعارف عليهما معتمداً على وحدة المقطع الغنائي الذي يتكون في معظم الأحيان من بيتين من الشعر يلتزمان بالوزن العروضي الشعبي للقالب الذي ينتميان إليه، لكنهما لا يلتزمان بقواف شعرية محددة كما في الشعر العربي. (غوانمة، 2010)

المجال الموسيقي:

في هذا المجال قال العقاد عن سيد درويش: "إنه أدخل عنصر الحياة والبساطة في التلحين والغناء، حيث ناسب بين الألفاظ والمعاني والألحان والحالات النفسية التي تعبر عنها، حيث تسمع الصوت الذي يضعه ويلحنه ويغنيه، فتحسب أن كلماته ومعانيه وأنغامه وخوالجه قد تداخلت وانسجمت منذ القدم، ولم يكن الغناء الفني كذلك منذ تم معرفته وإنما كان لغواً لا محصل فيه وألحاناً لا مطابقة بينها وبين ما وضعت له حتى جاء سيد درويش، فالطريقة التي استخدمها من خلال الأسلوب التعبيري الذاتي لديه في تلحين أدواره بطريقة تستطيع أن تستشف روح معانيها وإيماءات ألفاظها ومضامين أغراضها من لهجة الدهشة أو الغضب أو الحنان أو الفرح أو الزهو أو الوجوم، فتسمعها كأنك تسمع تفسيراً موسيقياً، كاملة المعاني وكامنة الإحساس أو ترى صوراً طبيعية تنسجها لك الموسيقا من خيوط النغم ونياط القلوب، وطريقته في الموسيقا من مناظر الليل والنهار وأصداء الرياح والأمواج ولمحات البرق والنجوم، إن الإلهام كان له الأثر الأكبر في إحراز هذا الفنان لذلك المستوى العالي والمتقدم من التذوق والتعبير الذاتي الموسيقي ومن تحديد ملامح محددة ومتطورة للموسيقا العربية" (سعد، 2002، 164-166). ومن العملية الإبداعية الإبتكارية الموسيقية ظهرت العديد من الأغاني التراثية الشعبية مثل:

أغنية "يا شوقي":

يـا شوقِي يَالله انا وِايَّـاكْ عَـالغـورِ نِـزْرَعْ بَسَاتِينِ
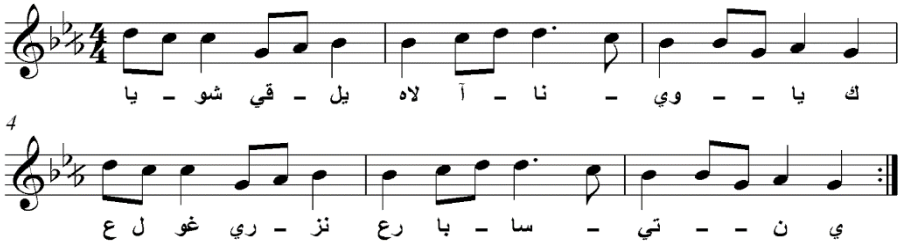
مدونة موسيقية رقم (4)، يا شوقِي (غوانمة، 2010)

إن قدرة الفنان على الانتقاء من بين الموجودات المحيطة به أو التي يتخيلها نوعيات معينة ذات صفات متباينة ويقوم بنقلها إلى المشاهد أو المستمع بصيغة أو أخرى، وهنا تنقسم اختيارات الفنان إلى نوعين أساسيين، هما الاختيارات العامة من جهة والاختيارات الشخصية الذاتية من جهة أخرى، فإن من الأسس

التعبيرية النفسية التي يقوم عليها الانتقاء عند الفنان حيث أن عمل الفنان ليس مجرد انعكاس لبيئته وليس مجرد صدى لما يعمل في تلك البيئة، إن وجود المقومات الوجدانية و الانفعالات التي تم تشكيلها منذ الطفولة عند الفرد والتي تعد الأساس الذي يقوم عليه بناء الشخصية تساعد في عملية التعبير الذاتي عند الفرد، إضافة إلى وجود أسس تربوية هي جميع المؤثرات المقصودة والمؤثرات غير المقصودة التي عملت على تشكيل وجدان وعقل الفنان والتي أكسبته مجموعة من المهارات الأدائية، فالتربية تشمل جميع ما يتعلمه الإنسان في البيئات والظروف المتباينة سواء تم التعلم والاكتساب في الأسرة أم في المدرسة أم في الحياة العامة. (أسعد، 1995، 5- 8)

أغنية "دَنّ القَلَمْ":

دَنّ القَلَمْ وَابْيَضَ القِرْطَـاسْ وِبْخَاطِرِي نَظِمْ بيتيـــنِ
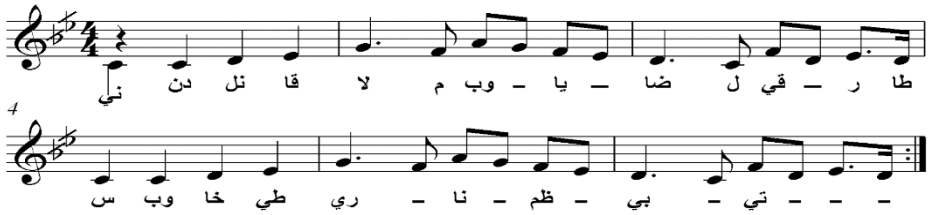
مدونة موسيقية رقم (5)، دَنّ القَلَمْ

أغنية "يا زَرِيفِ الطُـولْ":

يا زَرِيفِ الطُـولْ وْمَرُّ وْمَا عَليهْ غيرِ الحَطَّهْ والدَّامِرِ وْمَا عَليهْ
إنْ قَتَلْنِي وِانْ ضَـرَبْنِي ما عَليهْ وِانْ كَسَـرْ سِنِّي لَقُولْ وْقِعْتَ انَا
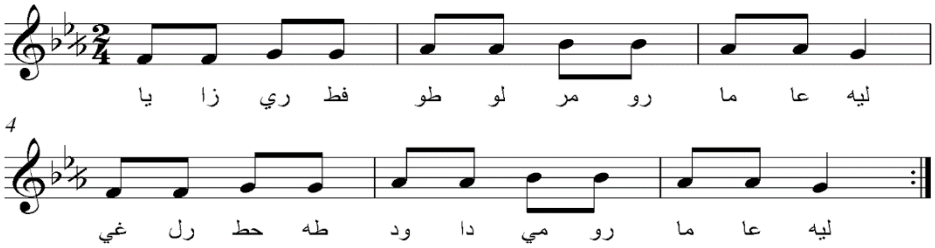
مدونة موسيقية رقم (6)، يا زَرِيفِ الطُـولْ

ينظر الفنان إلى الواقع الموضوعي من انسياب وانسجام وتناسق وتناغم، فعين الفنان وأذناه بل وباقي حواسه تبحث جميعاً عن التناسق في الموضوعات التي يقف عليها، وهو يبحث دائماً عن الأشياء المنفردة أو المتميزة أو التي لا مثيل لها، ولا يلحن أو يغني التي سبق لغيره إن قدم مثلها، فالفنان يعيد تشكيل الأشياء الموضوعية وفق مزاجه وتعبيره الذاتي الفني الخاص، فالعناصر الفنية هي عناصر موضوعية ولكن طريقة عرض العمل أو الناتج الفني يكون إما عن طريق قدرة الفنان على التعبير الذاتي و مزاجه الشخصي أوالمهارة الفنية التي اكتسبها. (أسعد، 1995، 23)

تعتبر الأغنية الشعبية أي الكلمة المغناة أهم الإبداعات الشعبية وأوثقها ارتباطا بالوجدان الجماعي وبالمناسبات والاحتفالات الاجتماعية العامة والخاصة مواكبة حياة الإنسان، وهو ما يساعد على انتشار تلك الأغنيات وازدهارها بين كل فئات الشعب، كل فيما يخصه ويخدم الوظيفة التي خلقت من أجلها الأغنيات لتتردد أو لتؤدى عند الحاجة الاجتماعية والنفسية والوجدانية والوظيفية لها، كما وأثّرت الظروف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية المليئة بالمتغيرات والتأثيرات المتبادلة على طبيعة الحياة في المجتمع الأردني وأعطت

الأغنية الأردنية تنوعا وطابعا سواء كان في المقام المستخدم في اللحن أو الإيقاع أو الكلمة. (الغوانمة، 2009، 19-20). فاللهجات الأردنية المحكية سواء منها البدوية أو الريفية تتشابه إلى حد كبير مع مثيلاتها من لهجات بلاد الشام والرافدين والجزيرة العربية كما في النموذج التالي:

يـا حَـادِرَهْ عَلَـى العيــنْ يـا حَبُـوبَـهْ اسْــتَنِّينِي
خوفِـي البيتُـونِ يْزَحِّــقْ وإلا مَــا سَــبَقْتِينِـي
(غوانمة، 2009)

واللهجة الريفية الأردنية هي لغة الكلام الشفاهي الدارج المتداول بين الناس يوميا، وهي لغة غير مكتوبة وتستغني عن الإعراب في جل حالاتها أي أنها لا تراعي حركات الإعراب كما في اللغة العربية الفصحى، كما أنها غالبا ما تميل إلى تسكين الحرف الأخير من الكلمة كما في المثال التالي:

يا علاً وَاللهْ لا رُوحْ مَعَاهُمْ يا عَلاً لَوْ شَيَّلُونِي حْدَاهُمْ عَالعيـنْ يا عَـلاً
يا عَلاً كيفْ القَلبْ يِسْلاهُـمْ يا عَلاً رَبْعَ العُقْلِ الميَّالَهْ عَالعيـنْ يا عَـلاً
(غوانمة، 2009)

يأتي موضوع الأغاني في المجتمع الأردني كما يلي:

1. أغاني الدورة الحياتية: ومنها أغاني المهد والأطفال، أغاني الزواج، النواح (غناء المراثي).
2. الأغاني الوطنية: ومنها أغاني حب الوطن، ومديح الأبطال.
3. الأغاني الدينية.
4. أغاني الغزل، أغاني الحكمة، وأغاني مرافقة الرقص، وأغاني العمل.

والتراث هو الثقافة التي يتلقاها جيل بعد جيل، يعطي قيما ومعتقدات آمن بها المجتمع الشعبي ومارسها في صور نشاطات متنوعة، والهدف منها تلبية احتياجات الإنسان الفطرية والروحية والمادية والجمالية، وإن الارتباط بالأرض والمعايشة الحقيقة لثقافتها الشعبية وتراثها الموروث هو الذي مهد لنشأة الأشكال الفنية الفلكلورية المتعددة مادية كانت أم معنوية مثل الأغاني أو الأنماط السلوكية والاحتفالات الشعبية المختلفة. (القاضي، 1995، 243) ومن بعض الخصائص الموسيقية لأغاني التراث الأردني:

أ. اللحن: إن ألحان الأغاني الشعبية قصيرة بشكل عام تعاد عدة مرات حسب المقاطع الشعرية للأغنية، يبنى الخط اللحني عادة من درجات موسيقية متوالية، إن الغناء يكون على شكل مقطعي في أكثر الأغاني.

ب. الإيقاع: تؤثر طبيعة وإيقاع الحياة على الغناء والموسيقى التراثية في المجتمع الأردني.

الأغنية البدوية:

تتأثر عملية الانفعال وأسلوب التعبير الذاتي الفني عند البدو من خلال تأثره في البيئة المحيطة التي ساهمت في تكوين الحياة الاجتماعية البدوية في المجتمع الأردني، وأسباب البداوة متعددة، يشكل الماء عنصرا هاما في تجوال البدو، حيث يجد حول الماء كل أسباب الحياة، فبسبب الماء تنشأ المراعي التي يسعى البدوي وراءها، وربما تكون العوامل الطبيعية سبباً في البداوة، فالظروف القاسية التي يعيشها البدوي تجعله يسعى إلى تحسين ظروفه عن طريق ملاحقته للأمطار وهروبه من الحرارة و الرياح الشديدة أو الثلوج، وربما تكون الظروف الإنسانية سبباً من أسباب البداوة أيضاً نتيجة الهجرة أو التعرض لغزو رغبة في استملاك الأراضي والقطعان، (حداد، 2004، 3) والبداوة كظاهرة اجتماعية في حياة المجتمعات الإنسانية، تجمعها العديد من المرتكزات سواء من الناحية الروحية أو العلاقات الاجتماعية أو ارتباط الفرد بالعشيرة و ارتباطه بالطبيعة، لقد جاء التعبير عن الأحاسيس والمشاعر في الأغنية البدوية من طبيعة الحياة البدوية التي تأثر فيها، فقد كان للنظام السياسي العسكري أثر في العمل الفني الموسيقي من خلال تلك الحياة، فقد كان

لدور الشيوخ الأثر في حل النزاع بين القبائل، يساعدهم في ذلك الأعراف والتقاليد، يساعدهم كذلك القاضي الذي يكون من القبيلة أو من قبيلة أخرى، ويلعب الشيخ دوراً سياسياً في عملية اللجوء للقبيلة، فالتحاق قبيلة على نطاق واسع أو عشيرة أو فرد إلى قبيلة الشيخ لا يتم إلا بموافقة الشيخ، كما يعتبر النظام الاقتصادي لدى البدو بسيطا جداً، فلا تدخل فيه تعقيدات البورصة والسوق المالي والتكنولوجي وأسعار العملات وغيرها، وقد أتت هذه البساطة من الطبيعة التي يعيشها البدو، فمصادر الدخل بسيطة ومحدودة، تعتمد في الأساس على التبادل قديماً، وتشكل الماشية في الاقتصاد البدوي رأس المال، فالماشية هي العنصر الهام في اقتصاد البدو، فهي بمثابة الثروة لديه، يستخدمها قديماً في دفع الدّية، ومهر العروس، وتقدّم كأضحية في الطقوس الدينية. (حداد، 2004، 8). لقد نبعت فكرة التعبير عن الذات من طبيعة الحياة التي عاشها ويعيشها البدوي، فتأثره بالصحراء والعادات والتقاليد وطرق صنع الأشياء، إن البدو يساعدون بعضهم البعض بحكم القرابة، وبوجود نوع من التضامن الأسري يقومون بقص صوف ووبر الجمال والماعز وبناء مساكنهم وحراثة الأرض والحصاد معا، ويشارك الأعمام والأخوال بشكل رئيسي في قرارات العائلة الواحدة، فلهم رأي في اختيار الأزواج، وكذلك المشاركة في حل المشاكل ودفع الديّة والحروب والذود عن الديار والمشاركة بالنشاطات الترويحية كالغناء والرقصات، وتشكل المناسبات الاجتماعية شكلاً فريداً من التضامن الاجتماعي لما فيها من مشاركة جماعية لا يستطيع الفرد القيام بها وحده، وتتعدد المناسبات عند البدو فمنها الأفراح والأحزان، فالأفراح تكون في المناسبات الدينية والأعياد ورمضان والحجّ ويكون بمناسبات اجتماعية كالزواج والخطبة ومناسبة الختان ومناسبات العمل كقص صوف الغنم، أما الأحزان فتشمل الموت والمصائب فيكون التعبير الذاتي عند النساء بالنواح وشق الجيوب وخمش الخدود وشد الشَعر، ولم تعرف النياحة عند الرجال فجاء التعبير الذاتي النفسي من خلال غناء الشعر للتعبير عن الفراق، (حداد، 2004، 10) كما أن للمناسبات الخاصة أو الشخصية أثرا واضحا في التعبير الذاتي الفني وهي ما تتعلق بالفرد من العائلة وما يطرأ عليه من تقلبات في شخصيته على مدار اليوم والساعة، فأحياناً يشعر بالفرح لسماعه خبراً مفرحاً فيبدأ بغناء الأغاني التي تلبي فيه الشعور بالفرح أو يسمع ما يحزنه فيبدأ بالأنين والتألم والشكوى فيغني أغانيه التي تبث فيه شعور الحزن والألم. إن الانفعالات و التعبير الذاتي جاء إما بطريقة سمعية أو بصرية، فالسمعية تكون بالزغاريد وإطلاق العيارات النارية والصراخ والغناء أم المرئية فتكون في إشعال النار أو نشر جهاز العروس في العرس. (حداد، 2004، 10) تميزت الأغاني البدوية بقيم جمالية ذات أصول تاريخية عريقة، إضافة إلى وجود خصائص لحنية اعتمدت على المقامات العربية الأصيلة، كما انتظمت مع الألحان البدوية صيغ بنائية ذات نسق شعبي، واستخدمت العديد من الضروب الإيقاعية العربية مثل (الملفوف، الهجع، البمب، السماعي الدارج، الدويك، وغيرها) التي تتناسب مع الغناء التراثي الشعبي مما أضاف على الغناء البدوي الحس المفعم بالعفوية وسَهُلَ وصوله إلى مختلف شرائح المجتمع، ويعرف الغناء البدوي بأنه ذلك الغناء الذي يخص سكان البادية العربية، وقد كان للبيئة الجغرافية الأثر الواضح في الغناء البدوي، فالبدوي لم يأخذ من الصحراء والبادية قسوتها فقط؛ بل أخذ منها الشجاعة والكرم وصفاء الروح مما جعل الأغاني البدوية جميلة في صورها الشعرية، بالإضافة إلى أن البيئة الاجتماعية وطبيعة الحياة البسيطة في البادية تعطي للغناء البدوي طابعاً مميزاً. (الغوانمة، 2007)، كما ركز البدو على تقوية الصورة والقيمة الجمالية الشعرية بلحن عذب و بإيقاع يناسب جو القصيدة، فإذا أراد السرعة وجد الحُداء وإذا أراد الإبطاء وجد الهجيني والشروقي فيختار ما يناسبه من إيقاعات لينظم عليها قصيدته. لقد كان الاعتماد الكبير في الغناء البدوي على الشعر، حيث اعتبر الركيزة الأساسية لديه، ويمتاز الشعر البدوي بعدة خصائص أعطته طابعاً مميزاً عن غيره من لغات الشعر الأخرى، اعتمدت كل قبيلة شاعرها الخاص يتحدث بلهجتها، فعرف شعر الرّجز الكثير من الألفاظ الغريبة لأنه أستخدم الألفاظ القبلية، وبسبب عيش البدوي في القفار

أصبحت هناك عدة لهجات بدوية، كما عرف البدوي غرابة الألفاظ وفيه نماذج كثيرة مثل كلمة "أبدي" وتعني أستهل أو " إلّي" وتعني الذي. (حداد، 2004، 17)

أما من حيث المعاني فقد استخدم البدوي كل السبل والتعبير عن ذاته الفنية لتقوية المعاني الشعرية في شعره، حتى أنه استخدم المثل في أشعاره مثل قول أحد الشعراء:

غديت مثل عايد القريتين لا جبت خير ولا كسبت الرّفاقة

فمعايد القريتين، من الأمثال الشعبية عند البدو استخدمه الشاعر حتى يعبر عن انفعاله وذاته الوجدانية والنفسية للحالة التي يمرّ فيها وتقوية شعره من الناحية المعنوية والتشبيهية، وليسهل على المستمع حفظها وترديدها. لقد استخدم البدوي القصة المرافقة لقصيدته وهي ذكر المناسبة التي قيلت فيها، ففي العادة يروي الشاعر قصة تسبق قول القصيدة وبذلك يهيئ جواً خاصاً بالقصيدة، ثم يروي القصيدة بطريقة الكلام تسمى عادة (الرت) و (الهذ) و (العد)، ثم يبدأ الغناء على آلة الربابة. (حداد، 2004، 18) إن شكل الانفعال و الأسلوب التعبيري في الغناء البدوي جاء بطريقة منغمة، وذلك لحرصه على تقوية الصورة الشعرية والتي تعبر عن انفعاله و مشاعره وأحاسبه الداخلية ولإعطاء المعنى الحقيقي والصورة الكاملة للمعنى، فإذا أراد السرعة في الغناء أستخدم غناء الحداء أما الأبطأ فيستخدم الهجيني أو الشروقي، ويختار ما يناسب تعبيره الذاتي من سرعة في الإيقاع حتى يتم تنظيم الشعر الذي يرغب في غنائه، ويعتبر اللحن العنصر الهام في نظم الشعر أو القصيدة، فأغلب الأوزان المتبعة في الشعر البدوي تميل إلى تلك المستخدمة عند الخليل بن أحمد، كما في غناء السامر.

من المواضيع التي تم استخدام الأسلوب الانفعالي و التعبير الذاتي الفني والموسيقي في الغناء البدوي والتي استمدت من البيئة البدوية التي أخذ الشاعر موضوعاته من صحراء الأردن بما فيها من رمال وواحات ووديان ونسيم الهواء وإبل وخيل. والموضوعات القصصية التي تصف واقعة معيّنة يكثر ورودها عند البدو لكثرة غزواتهم، فيبرز الظروف بالتفصيل ويصورها ويعبر عنها بصور واقعية. والموضوعات الغنائية يظهر فيها الشاعر ما يعبر عن نفسه من عواطف ومشاعر وأحاسيس، يعبر عن ذاته ويضيف فيها الحكمة والأمثال، تعددت مواضيع الشعر البدوي فصار منها المديح والعتاب والوصف والحب والزهّد والحكمة والخوف والرجاء والحماسة والوصايا والطلب والألغاز والفكاهات، وهناك مواضيع يقال فيها الشعر مثل أغاني الأفراح مثل (التراويد، والحنة، والفاردة)، كذلك أغاني السّامر وموضوع المطر في أغاني استجلاب المطر إضافة إلى المواضيع التي تعّبر عن الذات مثل الشجون والألم، لقد استخدمت بعض الالآت الموسيقية لتساعد في عملية التعبير عن الذات والتي رافقت الشاعر (القاصود) أو رافقت الغناء البدوي مثل آلة الربابة (الفاطر)، وآلة النجر (المهباش)، والشبابة، إن عملية استخدام أوزان الشعر مثل إرتباط الرجّز بغناء الحداء في الشعر الحماسي والحرب للتعبير عن استنهاض العزائم، كذلك وزن الطويل للتعبير الذاتي في شعر الرثاء والمدح واستخدام وزن الخفيف في شعر الحرب، (حداد، 2004، 22) كما استخدمت القافية في الشعر البدوي، حيث سميت عند البدو بالقاف حيث يقول أحد الشعراء:

قال المعيضي بالضّحى يبدع القاف في دار سمحين الوجوه كرام

والقافية على عدّة أشكال، فهي إما أن تلتزم نفس الحرف في الشطر الأول والشطر الثاني وإما أن تكون ملتزمة في الثاني فقط، وقد يتم استعمال الشطر الأول بقافية والشطر الثاني بقافية مختلفة، ويلتزم بذلك النظام إلى أخر القصيدة. لقد عبر البدوي عن ذاته وانفعالاته الفنية وأحاسيسه الداخلية الوجدانية من خلال الشعر، كما استخدم العديد من المصطلحات مثل (حدا) أو (هيجن) أو (قصد)، تلك ساهمت في تطوير الأغنية البدوية إلى أشكال وقوالب غنائية تراثية مختلفة، كما واستخدم (يا لالالا لي) أو ما يوافق النغم

الذي يريد أن ينظم القصيدة فيه، لقد سميت بعض الألحان بالجرّات ومفردها جرّة، وربما اعتمدوا هذه التسمية من حركة القوس على آلة الربابة، فيجر القوس فوق الوتر وربما تكون قد اعتمدت من كلمة بدوية وهي (جر عّ الربابة)، والحقيقة أن لفظة (جرّة) عند البدو هي إحدى أشهر ألعاب الطرّاد والرّمي، من ذلك سميت هذه اللعبة بالجرّة. (حداد، 2004، 22) أثّرت اللهجة البدوية على الغناء لديهم، وذلك من خلال إدغام بعض الكلمات مثل كلمة (البل) وأصلها الإبل، إن الناحية التعبيرية الذاتية والنفسية الموسيقية أثرت من طريقة التموج في غناء الشعر بإيجاد مواقع القوة والضعف، حيث يرتكز على حرف دون حروف أخرى مثل الشروقي والفراقيات. (حداد، 2004، 26)

التعبير الذاتي الموسيقي عند نمر العدوان:

هو نمر بن قبلان العدوان، ونسبه إلى عمه بركات، واسمه عبد العزيز وسمي فيما بعد نمرا، درس في القدس وفي الأزهر، تأثر بالمتنبي في تناوله لشعره، ومن أشعاره:

سر يا قلم في كاغد لي واسرع واكتب على ما اريد أن أفهم وأسمع
أكتب تساليم أو تحايا واشتك شكوى لليث لن نخيته يفـــزع

لقد عبر عن انفعالاته و ذاته ومشاعره من خلال هذا الشعر، فتلك التي التقى بها على غدير الماء، طلب منها أن يشرب من قِربتها، فقدمت إليه القربة، وعيونها تغض بالحياء، فسألها عن اسمها فلم تجب بل جاوبت أختها التي كانت معها، إلا أنها وبعد فترة زمنية أصيبت بمرض الكوليرا، وماتت ضحية هذا المرض، عبر الشاعر عن انفعاله وذاته، فرثاها في أول قصيدة رثاء لها (بتصرف، حداد، 2004، 29) بالشعر أوجدت صور شعرية جديدة وأساليب مختلفة، وفي الغناء جعلت كل شخص يستمع ويتعرف إلى غناء غيره من القبائل ويتعرف على أساليب غنائية جديدة وألحان مختلفة، وطرق أداء، فأوجدت ذوقاً موسيقياً رفيعاً عند البدو، فإيقاع الشعر يلعب دورا مسيطرا في تحديد إيقاع الأغاني الشعبية، أما سرعة الأداء فمتغيرة، قد تأتي الأغنية الواحدة على سرعات مختلفة حسب الأقاليم أو المناطق، (حمام، 2008، 52)، ومن بعض الأغاني البدوية التي تبين وضوح وجود الانفعالات والتعبير الذاتي ما يلي:

أغاني قالب الحُداء: أغنية "عَريسِنا"

عَريسِنا زين الشَّبابْ زين الشَّبابْ عَريسِنا
عَريسِنـا عَنْتر عَبِس عَنْتر عبِس عَريسِنا
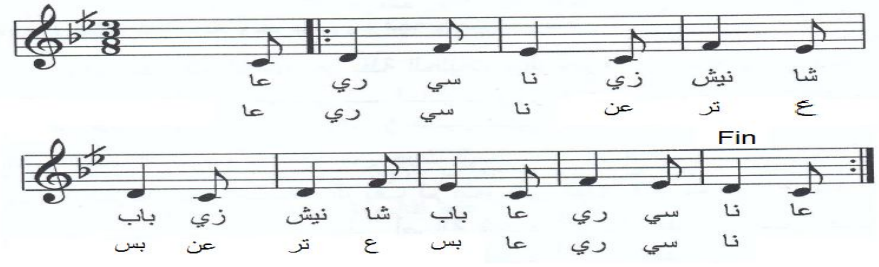
مدونة موسيقية رقم (7)، عَريسِنا

إن المثيرات والأحداث تؤدي إلى تفاعل ما بين الاستجابات الفسيولوجية وطبيعة الموقف الذي يؤدي إلى تقدير معرفي معين وبالتالي إلى استجابة انفعالية، ومن هنا تكون قوة ونوعية الانفعالات التي تظهر عند الإنسان تعتمد على قوة الحاجات وتقييم مقدرة الفرد على إشباع هذه الحاجات في موقف معين، تتجلى انفعالات الإنسان في كافة أنواع أدائه وبالأخص في الأداء الفني الإبداعي، فالمجال الانفعالي الخاص بالفنان يتجلى في مقطوعته الفنية أو عمله الغنائي، وفي طبيعة كتاباته وأيضاً في أساليب معالجته للنصوص الفنية

المختارة الأمر الذي تتفرد به الشخصية الفنية الإبداعية، فالانفعالات تدخل في العديد من الحالات السيكولوجية المعقدة التي يكون للانفعالات فيها علاقة وثيقة في عملية الابتكار والتعبير الذاتي. (يونس، 2007، 35)

ما يرسم في ذهن الفنان من صور فنية من جهة وبين الواقع من حوله من جهة أخرى وما يستشعره الفنان من توتر نفسي مستمر، ذلك أن الفنان كلما أراد أن يحيل صوره الذهنية إلى واقع فعلي فيما ينتجه من فن لفنه فإنه يعجز عن ترجمة ما يدور بمخيلته ترجمة وافية بل إنه يجد أن وسائل التعبير الفني ذاتها مهما بلغت من الجودة فالصور الذهنية الموجودة في مخيلة الفنان دائبة إلى التطور والحركة، (أسعد، 1995، 89) يستمد الفنان الصور الذهنية من الواقع المحسوس حيث يتلقى صوراً ذهنية من الواقع والبيئة والمجتمع الذي حوله وهذه الصور المستمدة من الخارج تتراكم فوق بعضها إلى أن يأتي التفاعل بين الصور المتراكمة والمضافة، يتخذ عند الفنان له موقفاً لما هو موجود في الواقع بالفعل والتعبير عنه لاحقا من خلال ذلك الانفعال والتعبير الذاتي بشكل غنائي، ولا يكتفي الفنان بالتجميع والتفاعل فيما بين الصور الذهنية بل هو يقوم أيضاً بعملية الغربلة وتصفية لما حصل من صور إلى أن يكتشف أنها مواتية أو ليست مناسبة أو كم تحتل مكانة فنية لديه؟، فما كان يعجب به الفنان في طفولته من صور ذهنية استقصاها من الواقع قد لا تقنعه بجمالها أو بروعتها أو أهميتها إلا إذا قام بالتعبير عنها بطريقة فنية تناسب تلك البيئة المجتمعية وما يجري فيها من أحداث ومناسبات، فبدوره يكتشف أنماطا أو أطراً أو قوالب فنية جمالية جديدة. ولا يعني النمو البيولوجي فحسب بل النمو الخبري أيضاً، فالفنان لا بد أن يسير المرحلة الإنمائية، فالتقييم الجمالي لديه لا ينفصل عن النمو الفني فهو يجمع بين ما يتعلق بخصائص نموه في المرحلة الإنمائية البيولوجية التي يمر فيها وبين المستوى الخبري الفني الذي يكون قد وصل إليه، (أسعد، 1995، 90) لقد وجدت العديد من النظريات التي تحدّثت وفسّرت الانفعالات مثل النظرية البيولوجية، النظرية الفسيولوجية، النظرية المعلوماتية للعالم سيمونوف، ونظرية السيكو وغيرها من النظريات. (يونس،2007، 264: بتصرف)

يتكون غناء الحُداء من مقاطع شعرية باللهجة العامية الأردنية، تمتاز ببساطتها وسهولة كلماتها ولحنها وأدائها، وتحتوي على العديد من الانفعالات والمفاهيم والأحاسيس التي تثير العاطفة، وتحمل الكلمات في طياتها الكثير من المعاني والمشاعر والأحاسيس والتي تعتبر عنصراً أساسيا لتكوين العُرس في المجتمع الأردني، حيث يصف النص الشعري العريس بصفات الرجولة والشهامة والقوة، كما تكمن القيمة الجمالية لهذا القالب الغنائي باستخدام الإيقاع السهل البسيط المتوافق تماماً مع إيقاع الكلمات الذي يُعطي كل مقطع كلامي ما يناسبه من العلامات الإيقاعية، ذلك فضلاً عن اللحن ذي المساحة الصوتية البسيطة التي لا تتعدى الأربع نغمات مما يجعله بسيطاً، كُل تلك المقومات جعلت من هذا القالب والمُتمثل في هذا النموذج لحناً بسيطاً تستطيع جميع فئات المجتمع الأردني غناءه ببساطة، يرافق الأداء الغنائي آلة الربابة وتصفيق اليدين الأمر الذي يضفي على اللحن البدوي البسيط قيماً جمالية مُضافة تربط الكلمة واللحن والغناء والآلة الموسيقية معاً في نسيج واحد، فمن هنا تكمن القيمة الحقيقية للعناصر الجمالية والموسيقية حين تجتمع العائلة والأقارب لأداء هذا القالب الغنائي المتمثل في البساطة اللحنية والأدائية الحركية عن طريق إطلاق العنان لحركة الجسد والاهتزاز الممزوج بالمتعة فتنطلق المشاعر الجياشة للتعبير عن الموقف السعيد من ناحية وعن وجود الترابط الأُسَري الذي يجسد طبيعة وواقع الحياة البدوية في المجتمع الأردني من ناحية أخرى.

أغاني قالب السَّامِر: "هَلا وْهَلا"

هَلا وْهَلا بَك يا هَلا لا يا حَليفي يا وَلَد
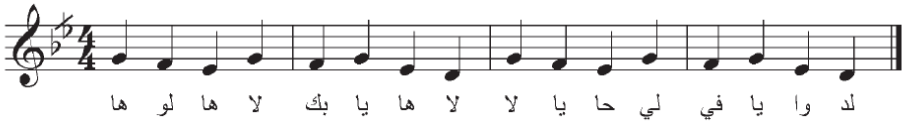
مدونة موسيقية رقم (8) هَلا وْهَلا

إن الإنسان في الحضارة الإنسانية كان متعشقاً للطبيعة بحيث كان يصبو إلى تكاملها أو الكشف عن أسرارها، ومن هنا ظهرت الفلسفة والأدب والعلوم، وقد كانت جميعاً تسعى إلى إشباع فهم الإنسان من المعرفة وما كان يعبر عن خوالج النفس من وجدانيات و أحاسيس عاطفية، (سعد، 2002، 216)، والإنسان يتقبل الكثير من الإلهامات خلال الطفولة والمراهقة تأخذ في التبلور في مرحلة الشباب وبعد ذلك وحتى نهاية العمر تظل البؤرة الإلهامية تأخذ في التفكك والتزايل في مرحلة الشيخوخة، (سعد، 2002، 282) والبؤرة الإلهامية لا تخضع لإرادة الشخص ولا تشتد قوتها نتيجة اجتهاد الشخص أو نتيجة ما يبذله من محاولات ولكن ثمة شرطاً أساسياً لوجودها وهو أن يقوم المرء بتوفير الظروف أو الشروط التي تسمح لها بالنشوء، وبعد ذلك يتم لها الثبوت والتبلور والرسوخ، ومعنى هذا أن الشخص الملهم إذا لم يراع تلك الشروط في حياته فإن البؤرة الإلهامية تهزل وتضعف، (سعد، 2002، 283) وتختلف البؤرة الإلهامية في شدتها وقوتها من شخص في نفس المجال أو المجالات المتباينة، حيث تختلف بين شاعر وآخر أو موسيقي وآخر، فالبؤرة الإلهامية لا تظل ثابتة أو بنفس القوة والتركيز طوال الوقت، (سعد، 2002، 283) إن تقدير الذات يعني الثقة بالنفس وبقيمتها واحترامها واحترام الآخرين وتناغم الأحاسيس والشعور بالأمن داخل النفس. (التميمي، 2002، 13) إن الاختلاف بين إنسان وآخر في تفكيره وشخصيته وتعامله مع الحياة رغم التطابق في البناء الجسدي وما يشكله هذا الاختلاف من أهمية في توسيع آفاق المعرفة وتنوع التجارب وفتح أبواب جديدة لم تفتح من قبل، ويرجع اختلاف الشخصيات إلى عوامل عديدة منها البيئة والأسرة والمجتمع والثقافة، وكل هذه العوامل لا تؤثر فقط في شخصية الإنسان بل تؤثر أيضاً في طريقة ونظرة الإنسان إلى ذاته ومعرفته بها ومعرفة ما يدور فيها ودرجة تمكنه من فهم مشاعره والسيطرة والتحكم بها في مختلف المواقف. (سليمان، 2002، 9)

السَّامِر هو قالب غنائي بدوي انتشر في الأردن وفي غالبية دول الجزيرة العربية، اشتق اسمه من السَمَرْ وهو الحديث بالليل، و(السُمَّار) هم القوم المجتمعون في مكان ما يتحدثون ويلقون الشعر ويتغنون بقصائد شعرية طويل، وغناء السَّامِر يحتل مكانة مرموقة بين قوالب الغناء الشعبي الأردني، من حيث الشيوع والانتشار، وتكمن القيمة الجمالية الانفعالية التعبيرية لهذا اللون من الغناء في الأداء الجماعي، والتناوب المتوازن في أداء السامر ما بين الشاعر ومجموعة الحضور الذين يشاركون في الغناء، حيث ينتظمون جلوساً على شكل قوس دائري، تتلازم أجسادهم كتفاً إلى كتف، وهم يتمايلون يميناً وشمالاً وقد اعتمرت قلوبهم نشوة وطرباً في أثناء غنائهم للمقطع المتكرر في غناء السَّامِر. (غوانمة، 2008)

أغاني قالب الشروقي: " يا مرحبا "

يا مَرحبَا ويا هَلا منينِ الرَكِبْ مِنْ وينْ أقْبَلْ عَلينا الضُحَى يا زينَةِ إقباله
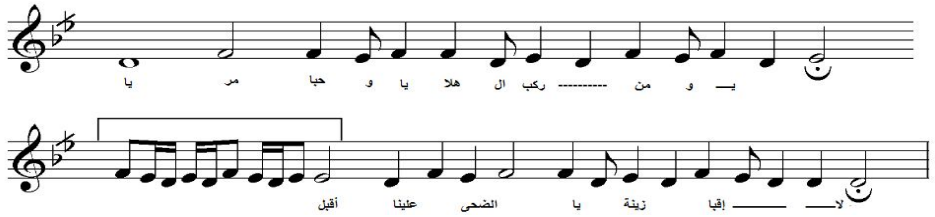
مدونة موسيقية رقم (9): يا مرحبا

تعمل الانفعالات بموجب ميكانيزمات خاصة بها، فهي كباقي الظواهر النفسية في علم النفس لها دورة حياة تمر بها، كما تتميز الانفعالات بكوكبة من الصفات من أهمها التمايز والتكامل والتناسق في آن واحد، فهي لا تعمل بمعزل عن مشاركة كافة الظواهر النفسية الفسيولوجية والبيئية وهذه الصفات تقودنا إلى أن الانفعالات مشروطة أو مسببة فلا يكون أن يظهر أي انفعال من فراغ بل يوجد وراء كل انفعال سبب معين، وهذا يعني أن دورة الانفعالات تشبه دورة الدافعية حيث أن ظهور أي انفعال يتطلب حدوث تفاعل تكاملي بين المفاتيح الداخلية والمفاتيح الخارجية لها (وهي المكونات المعرفية والبيولوجية) من جهة والمفاتيح الخارجية لها (وهي العوامل المادية والاجتماعية) من جهة أخرى. (يونس، 2007، 236)

إن عملية التعبير الذاتي وطريقة إبراز النواحي الانفعالية للتعبير عن طبيعة هذا اللون الغنائي وخصائصه من حيث الكلمة واللحن والإيقاع مختلفة، يعتبر قالب الشروقي من الألوان الغنائية الحرة التي لا تلتزم بضرب إيقاعي محدد، ومصدره شرق الأردن حيث البادية، ويعتمد في أدائه على الارتجال وهو شبيه بالموّال الشعبي أو العتابا من حيث الارتجال الأدائي، لذلك تتعدد أشكاله الغنائية اللحنية بحسب إمكانية ومزاج الشاعر المغني له فهو الذي يتميز بشكل كبير بإعطاء الكلمة أو القصيدة موسيقاها وأدائها المناسبين تماماً، ولا تخضع نصوصه الغنائية إلى نظام محدد من حيث عدد الأبيات الشعرية أو عدد الأشطر، ويؤدى الشروقي بمصاحبة آلة الربابة أو آلة الشبابة، فهو من بحر البسيط، وغالبا ما ترتبط قصيدة الشروقي بمناسبة، فالشاعر قبل أن يبدأ العزف والغناء يسرد المناسبة أو الحادثة التي نظمت القصيدة من أجلها، والشروقي معروف ومتداول لدى كافة البدو في البوادي العربية، وتكاد طريقة غنائه تتشابه عند الجميع إلا في لهجة المغني ومستوى أدائها وعزفه على الربابة، وامتد الشروقي إلى أوساط الفلاحين في الأرياف التي برع كثير من أهلها في نظمه وأجادوا غناءه. ويحتوي هذا القالب على العديد من الانفعالات والتعابير النفسية والذاتية واضحة من خلال هذا النص الشعري والموسيقا، فمن خلال الانفعال الصادر من مشاهدة تلك الصورة الدرامية حول الكرم العربي الأصيل في استقبال الضيف، والتعامل مع العشائر الأخرى جاء التعبير الذاتي الفني من الكلمة واللحن الذي ساهم في إعطاء أسلوب الغناء ميزة حسية انفعالية وخاصة مع استخدام آلة الربابة أو آلة الشبابة المرافقة، من هنا كان للدور الانفعالي الأثر في تطوير الأداء الموسيقي والذي تبلور بوضع واستخدام بعض اللازمات الموسيقية في وسط الغناء، يرتكز الغناء أحياناً على درجة السيكاه وأحياناً أخرى على درجة الدوكاه، وهذا التنويع يعطي الكثير من المشاعر ويضفي على النفس الراحة لإبراز هذا القالب ويعطي صورة حقيقية عن طبيعة الحياة في البادية الأردنية، إن جمال هذا النوع من الغناء يتميز ببساطته اللحنية التي تخلو من التعقيدات المقامية، إن أداء هذا اللون يقوم على ميزان حر مما يساعد في إبراز براعة أداء المغني والعازف على الآلات التراثية المستخدمة في البادية الأردنية كما يعطي الإحساس بالتمسك في العادات والتقاليد والقومية والانتماء للمجتمع.

الأغنية الريفية:

ينتشر الغناء في الأرياف الأردنية في منطقة الشمال والوسط، له ميزات وجاذبية فنية و جماهيرية، وهو أحد العناصر الأساسية نابع من الحياة الإنسانية، ومتأصل في التراث الغنائي في المجتمع الأردني، ويعتبر وثيقة معبرة عن الذات والوجدان والانفعالات الداخلية والنفسية والعاطفية، له الأثر الكبير في إبراز هوية الأغنية التراثية وسماتها في المجتمع، فالموسيقا الشعبية ذات أشكال تتصف بجماعية التكوين، وتنشأ بين قطاعات شعبية كبيرة، (أسعد، 1974، 11) ويعتمد الغناء التراثي الأردني عامة والغناء الريفي خاصة على اللهجة العامية فهو يصاغ بشكل نصوص شعرية شعبية، فمن المعتاد أن ينظم الريفيون أغانيهم على شكل مقاطع محددة تتكون في العادة من أربع شطرات ذات نظام محدد في الوزن والقافية، إضافة إلى أن كل مقطع منها يشكل معنى متكاملاً، إذ لا حاجة لأي من مقاطعها إلى مقطع آخر لتوضيح معناه ذلك يعني أن الوجدان الجماعي في الأغنية الريفية يُعنى بتحقيق الإبداع أكثر من عنايته بتحقيق اسم الفرد الذي أبدعه، الغناء الريفي ما هو إلا نشاط جماعي، وأن الأغاني الريفية في أدق تفاصيلها هي أعمال فردية، صاغها شعراؤها ببراعة بالغة، فأوحت لأبناء المجتمع أنها تخص كل واحد منهم دون غيره. (غوانمة، 2010) تتميز الأغنية الريفية بوجود مميزات لغوية باعتبار أن اللغة العربية هي الوسيلة المستخدمة للتفاهم، فالأغاني الريفية معبرة عن طبيعة الحياة الإنسانية وناتجة من تلك الانفعالات والتعبيرات الذاتية للإنسان من مشاهدته لأحداث الاجتماعية الإنسانية، ففي هذا المثال الانفعالي التعبيري لدى شاب يعاني غلاء المهر حيث استخدم مقطع غنائي من غناء الدلعونا:

عَلَى دَلْعونا وْعَلَى دَلْعونْتِينْ صَارُوا يُطْلُبُو بالبِنِتْ أَلْفِيـــنْ
صَارِ العَرَّابِي يُلْطُمْ عَالْخَدِّينْ وِمْنِينَ آجِيبِ سْيَاقِ المَزْيُونا
(غوانمة، 2010)

تتصدر أغاني الأعراس أغلب الأشكال المعروفة للأغنية الشعبية، التي يعتبرها الجميع المناسبة الأثرى بغنائها بين سائر الفنون الغنائية على الإطلاق، وذلك نظراً لتنوع أشكالها وقوالبها، وتعدد طقوسها وشعائرها التي تتوازى مع كل خطوة من خطوات الزواج بما يصاحبها من غناء، بدءاً من تعارف الشاب والفتاة ثم الخطبة، وتعاليل الزواج، والحناء، وحمّام العريس، والفاردة، والزّفة، والصّمدة، والصّباحية وغيرها، (الغوانمة، 2010، 8) إن عملية الزواج تبدأ عندما يفكر الشاب في الارتباط بإحدى الفتيات، وتتم عملية اختيار الفتاة وموافقة كلا الطرفين، تتوجه (جاهة) العريس وهي مكونة من كبار أقاربه من الرجال إلى بيت العروس الذي يتواجد فيه كبار عائلتها، لذلك يعتبر العرس شكلاً من أشكال التضامن الاجتماعي وذلك ما يمكن لمسه من خلال النموذج التالي:

أغاني ريفية: " طب الفرح "

طَـبِّ الفَرَحْ دَارِنَا يَا مِينِ يْهَنْيِنَـا
وِالمبِغْضِينْ ابْعَدُوا عَنَّا وَلا جُوْنَا
وِالمحِبِّيْنِ كِلَهُمْ اجُوا يْهَنُونَـا
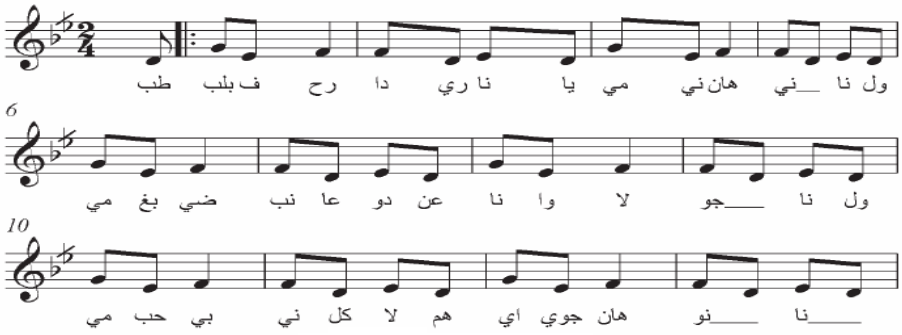
مدونة موسيقية رقم (10): أغنية طَبَّ الفَرَحْ

أغاني ريفية: "الخطبة"

مْن الصُبُحْ للْعَصْرِ وحْنَا مَشينَا مْن الِصُبُحْ لَلْعَصرْ
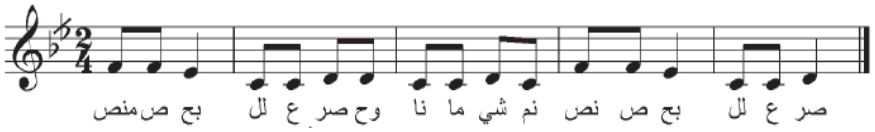
مدونة موسيقية رقم (11): أغنية مْن الصُبُحْ للْعَصْرِ

تعتبر الخطبة أولى الخطوات الرسمية المتبعة في تقاليد الزواج في الأردن حيث يتوجه الرجال إلى بيت والد العروس لطلب يدها للعريس، ويتجه موكب كبير من قريبات العريس والجارات وبعض نساء القرية إلى منزل والد العروس، وتغني النساء وهن في طريقهن إلى بيت والد العروس، ليشتركن مع الرجال في إتمام مراسيم الخطبة، ومنها أغاني متنوعة الألحان منها:

أغاني ريفية: "تراويد الحنا"

يا رِيْوِيدِتْنَا يَا (سليمه) يا رِيويْدِتْنَا يا هي
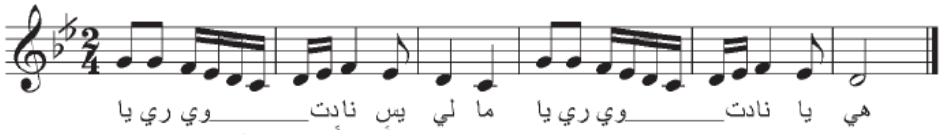
مدونة موسيقية رقم (12): أغنيةٌ حنَّاكِ مَرَطَّبْ

خلال فترة الخطوبة وقبل يوم الزفاف بفترة قصيرة يقوم أهل العريس بزيارة إلى بيت أهل العروس للاتفاق على موعد الزفاف، حيث يتداعى الأقارب والأصدقاء للمشاركة في ليالي ما قبل الزفاف، وفي الليلة الأخيرة من ليالي التعاليل التي يطلقون عليها اسم (ليلْة الحِنَّا) تتوجه النساء من قريبات العريس إلى بيت العروس يحملن المشاعل وطبق الحِنّاء المعجون للمشاركة في مراسيم حِنَّاء العروس.

من العادات المعروفة في المجتمع الأردني أن أهل العروس يصمدونها يوم زفافها في منزل والدها بين قريباتها، انتظارا لقدوم موكب أهل العريس لنقلها إلى بيت عريسها في ذلك الموكب والذي يطلقون عليه اسم (الفاردة)، حيث يغنين بشكل متواصل خلال مسيرتهن طول الطريق إلى بيت والد العروس أغاني مختلفة الأوزان والألحان ومنها:

أغاني ريفية: "يابَيِّ وَلَدْ"

يابَيِّ وَلَدْ وُافْرُشْ وْحَيِّينَا لومَا المَحَبَّهْ بِالقْلُوبْ ما جِينَا
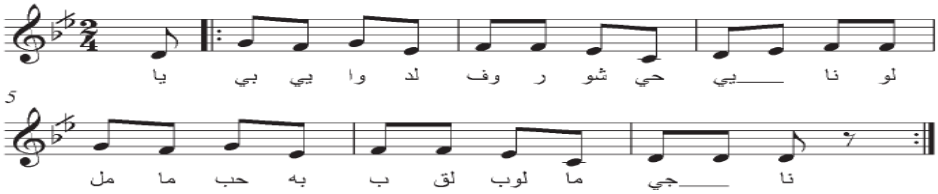
مدونة موسيقية رقم (13): أغنية يابَيِّ وَلَدْ

إن عملية الإحساس تعتبر عملية تتابعية للإحداث من أجل إتمام عملية الانفعال والتعبير عن الذات، حيث لابد من وجود مثير لتحقيق نوع من الاستجابة حيث تبدأ عملية الاستقبال بتلقي الإشارة حيث ينشط المخ وتتحول الإشارة إلى أحساس، عليه تعتبر الحواس النوافذ التي يطل منها الإنسان على العالم الخارجي المحيط به فهي تعتبر أبواب المعرفة لأنها أجهزة استقبال للقوى المؤثرة على الفرد في البيئة البصرية والسمعية والشمية والذوقية واللمسية، فإن الحواس لها دور كبير في تكيف الفرد مع ما يحيط به في البيئة الخارجية. (حميد، 2007، 198) إن الإبداع والابتكار عامل هام من العوامل التي تؤثر في التغيير الاجتماعي، والتقدم العلمي والتكنولوجي لأي مجتمع يسعى إلى تحقيق قدراته ومكانته بين مجتمعات العالم المختلفة، مما يساهم في دفع مجتمعاتهم نحو الرقي، (الخالدي، 2003، 7) إن اختلاف الأفراد في خصائصهم العقلية والانفعالية وما يرتبط بكل منهما من اختلاف وتباين في القدرة على التفكير المنظم والإنجاز والتعلم ومختلف القدرات كالقدرة اللغوية والعددية والاستدلالية والمكانية والتذكر والتصور وكذلك اختلاف الميول والاتجاهات والقيم الشخصية والدافعية وغير ذلك من الخصائص، كل هذا أنتج مدى واسعا من الفروق والاختلافات بين البشر، فالناس ذوو إمكانات عقلية مختلفة وأنماط سلوكية متباينة (الخالدي، 2003، 19)، والابتكار من الركائز الأساسية في التكوين العقلي، وهو الذي يعتمد على الخبرات المعرفية وعوامل دافعية وخصائص انفعالية وعوامل أخرى دينامية، وكما أنه أحد العوامل التي تدخل في تكوين العقل، إذ يعرّف (جيل فورد) Guilford الابتكار أنه عملية عقلية معرفية أو نمط من التفكير التباعدي يتصف بالطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وينتج عنه ناتج ابتكاري، كما ويؤكد أن العملية الإبتكارية هي تلك التي ينبثق عنها إنتاج جديد نسبياً يتصف بالجدية والأصالة، وإن الابتكار لا يقتصر على الجديد من الأشياء المادية ولكنه ينطوي أيضاً على سلسلة من العمليات العقلية المعرفية التي تقف خلف هذا النتاج الإبتكاري، (الخالدي، 2003، 54-55) فالعملية الإبتكارية تنطوي على نوع من أنواع النشاط العقلي الذي يتضمن العديد من الآليات النفسية بعضها عقلية معرفية، وأخرى دافعية وثالثة تتصف بالانفعالية. (الخالدي، 2003، 56)

لقد جاءت أغاني العرس الريفي الأردني ضمن سلسة كبيرة من الانفعالات والتعبيرات الذاتية من خلال الكلمة واللحن والإيقاع، وهذه الأغاني مرت عبر العديد من المراحل أهمها:

أولاً: مرحلة الإعداد (Preparation): الابتكار لا يظهر دون أي مؤثرات أو سابق إعداد، فلا بد من وجود مجموعة من المثيرات التي تساهم في إثارة الدافعية لدى الفرد ورغبته في الأداء أو الانجاز لعمل معين، مما يترتب عليه تجهيز المعلومات المهمة حول الموضوع إلى جانب التفكير المعمق بطبيعة المشكلات التي قد تعيق إنجاز ذلك الهدف و إدراك العلاقات بينها في سبيل إمكانية توظيف المعلومات المتاحة اتجاه حلها. (الخالدي، 2003، 57)

ثانياً: مرحلة الاحتضان (Incubation): تتميز هذه المرحلة بالأهمية لأنها تأتي بعد مرحلة التفكير لفترة من الوقت، تتصف بالهدوء النسبي الظاهري لأن الفرد يكون في حالة خروج نفسي من المجال أو الحيز

الذي يحيط بالمشكلة، وبنفس الوقت يكون في حالة نشاط عقلي دائب على المستويين الشعوري واللاشعوري، إذ يبقى تفكير الفرد متصلا بحالة اللاوعي فتتبلور الأفكار ويتم استيعابها وتنمو تدفقات فكرية وتهيئات شعورية نتيجة تخفيف الضغط، وتحدث هذه التغييرات الداخلية في تفكير الفرد، ويحدث أيضاً نوع من إعادة تنظيم المعلومات وهكذا تتضح فكرة احتضان الفكرة لدى الفرد المبتكر وقد تطول أياما أو سنوات وقد تقتصر على بضع دقائق فقط. (الخالدي، 2003، 57)

ثالثاً: مرحلة الاستبصار (Insight): ويطلق عليها مرحلة الإلهام حيث تأتي فجأة وتظهر الأفكار الجديدة، وأحيانا تسمى هذه المرحلة بمرحلة الإشراف، ويقصد بها اللحظة التي يتوضح فيها التفكير التي طالما شغل حيزا كثيرا من النشاط العقلي للفرد خلال المرحلتين السابقتين، والإشراف في العملية الإبتكارية يعني الخبرة المعرفية مع الشعور بالرضا والراحة بعد فترة من المعاناة الذهنية قد تكون طويلة أو قصيرة. (الخالدي، 2003، 58)

رابعاً: مرحلة التحقق (Verification): تصل العملية الإبتكارية إلى مرحلتها النهائية، وتعد هذه المرحلة في غاية الأهمية لأنها تتعلق بالحكم على الناتج الإبتكاري باستخدام التجريب للأفكار الجديدة الناتجة عن الاستبصار فهي عملية تطبيقية إجرائية لتقويم ما تم التوصل إليه من الفكرة المبتكرة عن طريق عملية الاستبصار والتعرف على مدى إمكانية تحقيقها وتنفيذها عمليا، والأصالة من القدرات الخاصة بالتفكير الإبتكاري وهي قدرة الفرد على خلق شيء جديد من أصل مألوف أو شائع ولكنها تتضمن الجدة، والتفرد في معناها وهي المعيار المشترك في تعريفات وتحديد مفهوم الابتكار ومستوى الناتج الإبتكاري، والأصالة تمثل أهم القدرات على التفكير الإبتكاري، والمهارة وشرط القبول من قبل المجتمع من أهم شروط الأصالة. (الخالدي، 2003، 61)

إن قدرة الفنان أو الفرد تكمن في أن يستشف إلهامه من الأحداث المحيطة به، فهنالك لحظات معينة تكون بمثابة فرصة لبزوغ أو لظهور فكرة، فقد تظهر قصيدة أو عدد من الأبيات الشعرية أو أغنية أو لحن يمثل طبيعة أو مناسبة اجتماعية في لحظة سريعة دون أن تسبقها فكرة مختمرة، وقد تكون للبيئة أو الطبيعة المحيطة عنصرٌ هام في تحريك الأحاسيس والمشاعر والإلهام لدى الكاتب، فالتأثير في واقع الحياة له أثر في أن ينطلق الفن الموسيقي للتعبير عن الواقع الحياتي في المجتمع، ومن هنا تكون الوثبة، فهي الوحدة الدينامية المتكاملة للفن الموسيقي والأغاني الشعبية التراثية المتكاملة التي هي بمثابة الصورة المجتمعية للحياة الإنسانية في المجتمع. (سعد، 2002، 216)

نتائج البحث: توصل الباحث بعد فهم ودراسة الأغاني الشعبية إلى الإجابة على أسئلة البحث وهي:

السؤال الأول: ما هو مفهوم الانفعال والتعبير الذاتي الفني الموسيقي؟

إن عملية الانفعالات كباقي المفاهيم في علم النفس لا يوجد لها تعريف إجرائي وذلك لاختلاف خصائص ومكونات ووظائف الانفعالات بالإضافة إلى الفروق في الخلفيات النظرية لدى علماء النفس، يمكن الإشارة إلى بعض التعريفات الإجرائية لعملية الانفعالات، هي عملية عقلية عليا غير معرفية، وحالة وجدانية عنيفة تصحبها تغيرات فسيولوجية وتعبيرات حركية مختلفة. (يونس، 2007، 227-228) فالانفعالات عبارة عن نظام مركب متكامل مفتوح يشتمل على جوانب خارجية وتغيرات فسيولوجية وإيماءات تعبيرية وحاجات ومنظومة قيم وعلاقات وإطار حضاري ثقافي، أما المشاعر التي تعكس علاقات الأفراد ونشاطاتهم يمكن تصنيفها إلى عدد من الاتجاهات والتي تقوم على علاقات الإنسان بالآخرين والمجتمع كمشاعر الوطنية والقومية ومشاعر الواجبات والحقوق والمسؤولية، والمشاعر العقلية التي تظهر بوضوح عند إدراك الإنسان لفنون معينة أو ظواهر طبيعية أو أحداث في الحياة المجتمعية، وللتعبير عن انفعالات السرور والفرح عند تحقيق إنجازات

علمية معينة. (يونس، 2007، 238-243) يعد مفهوم الذات من الأبعاد المهمة في الشخصية الإنسانية التي لها أثر كبير في سلوك الفرد وتصرفاته، حيث تلعب دوراً كبيراً في توجيه السلوك وتحديده، لذا فإن معرفة كيفية إدراك الفرد لذاته تساعد في عملية تقويمه، ومفهوم الذات يعني فكرة الفرد عن ذاته، هو من أبرز المفاهيم التي تبين شخصية الفرد وحجر الزاوية لها، وتمثل مجموعة السمات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، ولذلك فهو واحد من أهم العوامل المؤثرة في السلوك الاجتماعي للأفراد ومن بينهم شريحة الشباب، وتكون الذات مطلبا من مطالب النمو الرئيسية وخلق حالة من التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي للأفراد، ويستخدم مفهوم الذات للتعبير عن جميع الأفكار والمشاعر والمعتقدات المتكونة لدى الفرد عن ذاته والتي تشمل في الغالب خصائصه وتعبر عن معتقداته وقيمه وقناعاته وطموحاته، (محمود؛ مطر، 2011، 19-23)،مفهوم الذات افتراضي مدرك يتشكل من خلال المتغيرات البيئية الكثيرة التي لا يمكن الفصل بينهما تماماً فهي تشترك بدرجات متفاوتة، تؤثر كل منهما في الأخرى فأي مؤثر في أي متغير من المتغيرات التي تشكله سينصب في مفهوم الذات العام (الظاهر، 2010، 7).

السؤال الثاني: ما هي أهمية الانفعال والتعبير الذاتي في تكوين الأغنية الشعبية؟

ساعدت عملية الانفعال والتعبير الذاتي والممتزجة بالمشاعر والانفعالات الداخلية والوجدانية في معرفة أغراض وعناصر وميزات التراث الغنائي في الأردن، فهو يتضمن ألواناً غنائية ارتبطت بحياة الإنسان، معتمدة على الأصالة ومُستمدة تكوينها الفني من البيئة والحياة الإنسانية والأحداث المجتمعية. وتحتوي الأغاني الشعبية على نوعين من الغناء هما الغناء البدوي والغناء الريفي، ويحتوي الغناء الريفي على مجموعة كبيرة من الأغاني التي تصاحب المناسبات الخاصة بالمجتمع الأردني، منها ما يتعلق بمناسبات الزواج والبكائيات والعمل، أما الأغاني البدوية فتتميز بوجود العديد من القوالب الغنائية (الحُداء، السامر، الشروقي)، ولكل قالب خصائصه التي تميزه، وقيمه الجمالية الخاصة به سواء كانت هذه القيم في الكلمة أو الإيقاع أو اللحن أو الآلة الموسيقية المستخدمة، فقد ارتبطت الأغاني البدوية بوظائف متعددة منها النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والتربوية، فوجد البدوي في الغناء متنفساً من عناء وقسوة الصحراء، فلا يسمع صوت الربابة إلا ويذهب في مجالسها ولا يسمع إيقاع السامر إلا ويجد نفسه وسط المشاركين، يشارك أهل الفرح أفراحهم، وأهل الحزن أحزانهم، فالغناء البدوي في الأردن عبارة عن تنغيم للشعر بأسلوب يحفظ للشعر ديمومته، وللحن أصالته، إن من أهم مميزات الغناء البدوي قلة التزيينات، وبساطة اللحن، وامتداد إحدى النغمات زمناً طويلاً، ورتابة الوزن والإيقاع، وتنوع الأوزان والألحان، إضافة إلى مجموعة متنوعة من الموضوعات الإنسانية منها: الغزل، والفخر، والمدح، والوصف، والرثاء، أما الغناء الريفي الذي تميز في الأردن بعدد من الميزات الشعرية من أهمها المميزات اللغوية، والميزات الوظيفية، والميزات العروضية، والميزات الإيقاعية واللحنية، والميزات الأدائية؛ فقد يكون للقالب الغنائي الريفي أكثر من لحن، لكن الألحان وإن تعددت فإنها تشترك بمقومات أساسية: في مجالات: اللحن والميزان والإيقاع، وربما تختلف من منطقة إلى أخرى في بعض الزخارف النغمية والحركات الأدائية.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث يوصي بما يلي:

1. إجراء دراسات وأبحاث علمية موسيقية تتناول العلاقة الموسيقية والنفسية خاصة فيما ما يتعلق بالانفعالات والتعبير الذاتي.
2. مسح و جمع وتوثيق وتصنيف الأغاني الشعبية في المجتمع الأردني.
3. إصدار كتب ومراجع تعنى بالمصطلحات الفنية الموسيقية النفسية

الهوامش:

[1] . http://arabmusicmagazine.com/index.php/ar/2012-03-12-12-49-22/504-2015-05-02-09-26-26

[2] . http://anshrnow.com/article177

[3] . https://www.4algeria.com/forum/t/333209/

[4] . http://mawdoo3.com

المراجع:

المراجع العربية:

1. أبو الرب، توفيق، (1980)، دراسات في الفلكلور الأردني، جمعية عمال المطابع، عمان.
2. أسعد، يوسف ميخائيل،(1995)، سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، دار الشؤون الثقافية، القاهرة.
3. إسماعيل، عز الدين، (1986)، الأسس الجمالية في النقد العرب، الدار العربية، ط 3، بغداد.
4. الأشول، عادل، (2008)، علم نفس النمو، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
5. التميمي، صالح، (2002)، تطوير احترام الذات، دار المعرفة للتنمية البشرية، ط 1،الرياض.
6. الجيزاني، محمد، (2012)، مفهوم الذات والنضج الاجتماعي بين الواقع والمثالية، ط 1، دار صفاء، عمان.
7. الحوامدة، محمد، السعدي، (2015)، فاعلية أناشيد الأطفال وأغانيهم في تنمة مهارات التعبير الشفويّ لدى تلاميذ الصف الأول الأساسي، مجلة دراسات (العلوم التربوية)، الجامعة الأردنية، العدد1، المجلد42، عمان.
8. الحمد، منى، (2015)، أساليب التعبير عن الذات والرأي وضوابطهما دراسة تربوية في ضوء السنة النبوية، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 35، الجزء الأول، فلسطين.
9. الخالدي، أديب محمد، (2003)، سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي، الأوائل للنشر، عمان.
10. الظاهر، قحطان أحمد، (2010)، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل، ط1، عمان.
11. العمرية، صلاح الدين، (2005)، التفكير الإبداعي، مكتبة المجتمع العربي، ط 1، الأردن.
12. الغوانمة، محمد، (2009)، الأهزوجة الأردنية، وزارة الثقافة، الأردن.
13. الغوانمة، محمد، (1989)، إمكانية توظيف الأغنية الأردنية في تعليم العزف على آلة العود للمبتدئين. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، القاهرة.
14. الغوانمة، محمد، (2009)، أغاني النساء في الأردن، مجلد 2، ع1، المجلة الأردنية للفنون،جامعة اليرموك، الأردن.
15. الغوانمة،محمد، (2008)،السامر،المجلة الأردنية للفنون، المجلد2، العدد1، جامعة اليرموك، الأردن.
16. القاضي، محمود، (1995)، موسيقى شعبية من مصر، دار الكتاب، القاهرة.
17. القتياني، سهيل، (2017)، هوية الابداع الشعري عند محمود درويش بين الالهام والمهارة، مجلة دراسات الانسانية والاجتماعية، مجلد 44، عدد 1، عمان.
18. الناطور، فايز، (2016)، التحفيز ومهارات تطوير الذات، دار أسامة، ط 1، عمان.
19. جابر، رمزي، (2013)، الأنماط المزاجية المميزة لدى لاعبي كرة الطاولة في فلسطين، مجلة دراسات العلوم التربوية، مجلد 40، ملحق، 1، عمان.
20. حجاب، نمر، (2003)، الأغنية الشعبية في عمان، المكتبة الوطنية، عمان.

21. حداد، عبد السلام، (2004)، الغناء البدوي الأردني، دراسة لنيل درجة دبلوم الدراسات المعمقة في العلوم الموسيقية، جامعة الروح القدس، لبنان.
22. حمام، عبد الحميد، (2008)، الحياة الموسيقية في الأردن في ثمانين عاماً، وزارة الثقافة، عمان.
23. حميد، حذام، (2007)، أثر التعبير الذاتي والخبرة البصرية في تنمية الإدراك الحسي لدى أطفال الرياض في محافظة ديالي، مجلة الفتح، العدد الحادي والثلاثون، العراق.
24. حنفي، حسن، (1977)، التراث والتجديد. مكتبة الجديد. تونس.
25. خصاونة، فؤاد، (2015)، عملية التفكير الابداعي في التصميم، مجلة دراسات العلوم الانسانية، المجلد 42، ملحق 1، عمان.
26. سعد، يوسف ميخائيل، (2002)، سيكولوجية الإلهام، دار غريب للنشر،القاهرة.
27. سليمان، سناء محمد، (2005)، تحسين مفهوم الذات، عالم الكتب للنشر، ط 1، القاهرة.
28. شحاتة،حسن،النجار، زينب، عمار، حامد، (2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، دار المصرية اللبنانية للكتاب، ط 1، القاهرة.
29. صالح، مأمون، (2008)، الشخصية، دار أسامة، ط 1، عمان.
30. عتيق، عبد العزيز، (1972)، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت.
31. علي،محمد، (1974)، في أصول الموسيقا الفلكلورية، نقابة الفنانين العراقيين، بغداد، العراق.
32. قدوري، حسين، (1978)، الموسوعة الموسيقية الصغيرة، دار ثقافة الطفل، بغداد.
33. مالهي، رانجين، دبليو، روبرت، (2005)، تعزيز تقدير الذات، مكتبة جرير، ط 1، السعودية.
34. مجيد، سوسن، (2008)،اضطرابات الشخصية، دار صفاء، ط 1، عمان.
35. محمود، غازي،مطر، شيماء، (2011)، مفهوم الذات، المجمع العربي، ط 1، عمان.
36. مردغاني، زكاء، (2012)، الفن عند الفارابي، ط 1، صفحات للنشر، سورية.
37. ناصر، علاء، (2013)، القيم الجمالية للغناء البدوي في المجتمع الأردني، بحث منشور، مجلة علوم وفنون الموسيقية، المجلد 26، يناير، الجزء2، جامعة حلوان، القاهرة.
38. ناصر، علاء، (2011)، مقام البياتي في أغاني العرس الريفي الأردني، مجلة علوم وفنون الموسيقى، بحث منشور،المجلد 23، يونيو، الجزء 2، جامعة حلوان، القاهرة.
39. يونس، محمد، (2007)، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، دار المسيرة، عمان.

المواقع الألكترونية:

40. http://arabmusicmagazine.com/index.php/ar/2012-03-12-12-49-22/504-2015-05-02-09-26-26
41. http://anshrnow.com/article177
42. https://www.4algeria.com/forum/t/333209/
43. http://mawdoo3.com